الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

الأبعاد الحجاجية لحروف القسم في القرآن الكريم
-نماذج مختارة-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية
تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبة: صارة رحمة
إشراف الأستاذة: أسماء زروقي

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة
أمال منصور	دكتورة	رئيسا
أسماء زروقي	أستاذة	مشرفا ومقررا
أمال دهنون	أستاذة	مناقشا

السنة الجامعية: 1437هـ/1438هـ
2016م/ 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٠

قال تعالى :

﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ ﴾

ص : الآية 1

صدق الله العظيم

كلمة شكر:

نحمد الله الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل....فله الحمد من قبل ومن بعد

و أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذتي المشرفة" أسماء زروقي" على تصويب أخطائي وتقليل هناتي....

و الشكر موصول إلى كلية الآداب واللغات، وأخص بالذكر كل أساتذة قسم الأدب العربي – محمد خيضر بسكرة-.

وإلى كل من قدم يد العون في إنجاز هذا البحث....

الطالبة : صارة رحمة

مقدمـــــة

الحمد لله الذي نزّل على عبده الكتاب ليكون له سراجًا منيرًا، وأرسله رحمةً للعالمين، وجعله مثالاً كاملاً، والصلاّة والسّلام على نبيِّنا الكريم، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهُ بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

يُعدُ القرآن العظيم معجزة الإسلام الخالدة، وحجة الله البالغة، الذي نزل بلسان عربي فصيح، وجاء لدحض الأباطيل، وكشف الأكاذيب، والحدِّ من الجبروت. والمتمعِن في الخطاب القرآني يرى أنّ الحجاج من الأساليب اللغوية التي نجدها وفيرة فيه، كون الخطاب القرآني خطابًا متنوعًا جاء موجهًا للناس كافةً على اختلاف أفكارهم ومعتقداتهم وعقائدهم، وكون الخطاب الحجاجي من أقدم الدراسات التي عُرفت، هذا لما يحتويه من ركائز أساسية، لأيِّ عملية تواصل، التي تستلزم بالضرورة وجود طرفين هما "المحاج والمحجوج".

"فالمحاج" أو "المتكلم"، يُمثل زاوية التفاعل، لأنّه يسعى جاهدًا إلى التأثير والإقناع في المتلقي، الذي يقَع عليه فعل الفاعل "بالغلبة"، وهذا بسبب قدرة المتكلم على التأثير في السامع.

فالإقناع جزء لا يتجزأ من التأثير، كونُه من الممارسات القائمة في الحياة البشرية، والهدف الأسمى له يتجسد في شَدِّ انتباه السامع. ونجد هذه الأساليب من (حجاج وإقناع)، معتمدة في الخطابات بأنواعها، وبخاصَة في القرآن الكريم، الذي يعتمد في بعض حجاجه المخاطبين أسلوب القسم ، هذا الأسلوب القوي، الذي ورد بكثرة في القرآن الكريم، فقد جاء مخاطِبًا كلاً بما يُناسبُه، ويليقُ به، في سبك للعبارات، معتمدًا الحجج الواقعية. فأسلوب القسم جاء لإقامة الحجة على الكُفار، أو لتقرير حقيقة وترسيخ الإيمان في قلوب المؤمنين.

وهنا تظهر العلاقة بين الحجاج والقسم، وعلى هذا جاء بحثُنا موسومًا بـ: " **الأبعاد الحجاجية لحروف القسم في القرآن الكريم**"-**نماذج مختارة**-.

وكان من بين أهم الدوافع لتناول هذا الموضوع:

- السعي إلى نيل شرف الكتابة في أعظم كتابٍ أنزله تبارك وتعالى، وهو القرآن الكريم، و محاولة الوقوف على جوانب ودلائل إعجازه من وجهةٍ حجاجية.

- تزايُد الدراسات المتعلقة بالحجاج، وخاصةً في كتاب الله العزيز، إلاَّ أنَّ الحِجَاج الخاص بأحرف القسم تبقى الدراسات فيه قليلة، فجاء البحث للكشف عن بعض أسراره.

وتحقيقًا لهذا الهدف جاء البحث ليطرح جملة من التساؤلات والإشكالات نذكرها فيما يأتي:

- هل لحروف القسم أبعادٌ حجاجية في الخطاب القرآني ؟

- وهل لتنوع هذه الحروف غاية حجاجية تختلف من حرف لآخر ومن آية لأخرى، وما مدى قُوة هذه الحروف في تحقيق هذا الحجاج ؟

وقد اعتمد البحث في تحليله والكشف عن المظاهر الحجاجية لأحرف القسم المنهج الوصفي، المعتمد آلية التحليل، من خلال إحصاء أهم مواضع القسم في القرآن الكريم "بأحرف القسم". وقد اقتضى البحث خطة تساعد على الإجابة عن إشكالاته، تمثلت في: فصلين، تصدرتهُما مقدمة، وذُيِّلا بخاتمة.

فالفصل الأول جاء بعنوان " **مداخل مفهومية**"، تطرقتُ فيه إلى: مفهوم الحجاج، معجميًا واصطلاحيًا، وأبرزتُ فيه: الحجاج في القرآن الكريم، وأنواع الحجاج، والعلاقات الحجاجية، وكذلك بالنسبة إلى القسم.

أما الفصل الثاني المُعنونُ بـ "**الدلالة الحجاجية لحروف القسم في القرآن الكريم**" ، فقد تناول: أنواعًا مختلفة من القسم، كالقسم بالله تعالى، وقسم الله عزَّ وجل بمخلوقاته كالمخلوق الروحي والكوني، والزماني والمكاني.

وذُيِّل البحث بخاتمة احتوت أهم النتائج المُتوصل إليها في البحث.

واعتمد البحث مجموعةً من المصادر والمراجع أهمها: "الجمل في النحو" "لأبي القاسم الزجاجي"، "الإتقان في علوم القرآن" "لجلال الدِّين السيوطي"، " الكشاف" "لمحمود بن عمر الزمخشري"، "اللغة والحجاج" "لأبي بكر العزاوي"، و"الحجاج في القرآن" "لعبد الله صولة". ومن كتب التفاسير اعتمد البحث: "مفاتيح الغيب" "لفخر الدِّين الرازي، وتفسير التحرير والتنوير" "لمحمد الطاهر بن عاشور".

وكغيره من البحوث العلمية ، فقد اعترضت البحث جملة من العوائق تمثلت في:

- شساعة موضوع الحجاج، الذي كان من الصعب الإلمام والإحاطة به.
- قلة الدراسات التطبيقية في القرآن الكريم التي تتناول مسألة الأبعاد الحجاجية لأحرف القسم، ما جعل البحث يفتقر إلى سند يعتمد عليه في الدراسة التطبيقية.

ورغم ذلك فقد أعانني الله بما توفر عندي من مراجع وقدرة على التحليل رغم ما يعتري هذا التحليل من نقص وتقصِير، فإن أصَبتُ فمن الله تبارك وتعالى، وإن أخطأت فحسبي أنَّ لي أجر المجتهِد المخطئ، كما أتوجه بالشكر العظيم والتقدير إلى الأستاذة المشرفة "**أسماء زروقي**" على ما قدمت من توجيهٍ وتصويبٍ ونُصحٍ، وإلى كلِ من قدَّم يدَ العون.

والحمد لله رب العالمين...

الفصل الأول:

مداخل مفهومية

أولا: الحجـــاج:

1/ تعريف الحجاج

أ – **لغة** : الحجاج في اللّغة من "حَاجَّ"، قال "ابن منظور": «حاججته أحاجه، ومحاجة حتى حججتُه، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها[...] وحاجَّه محاجة وحجاجا[...] والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، والحجاج عنده مساوي للجدل، فيقول:"رجل محجاج أي جدل"، والحجة الدليل والبرهان: يُقال حاججتهُ فأنا محاج وحجيج [...] فجعلت أحُجُّ خصمي، أي أغلبه بالحجة. وحَجَّهٌ يحُجُّه حَجًا، فهو محجوج وحجيج»[(1)].

ويقول"ابن فارس": « حاججت فلانا، فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج، والمصدر الحجاج» [(2)].

ومن هنا يمكنُنا استنتاج ثلاثة مُشتقات جُزئية، ذات علاقة هي:

المعنى الأول: " المُحاج"، وهو صاحب الغلبة، أي " المُخَاطِب".

المعنى الثاني: " المحجُوج"، وهو المغلوب، أي "المُخاطَب".

المعنى الثالث : "الحُجج"، وهي الأدلة والبراهين التي يتبادلُها المتخاصمان، ويقوم عليها الخطاب[(3)].

ب – اصطلاحا : ومن بين العلماء الفحائل الذين اجتهدوا في معرفة الدلالة الاصطلاحية للحجاج نجد:

"أبو الوليد الباجي" يقول: « وهذا العلم من أرفع العلوم قدرًا، وأعظمها شأنًا لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المُحَال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، مادة (ح ج ج)، 2 /288.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، دار الفكر والطباعة، بيروت، لبنان، 1399هـ-1979م،30/2.

(3) ينظر: محمد عرابي، العلاقات الحجاجية في القرآن الكريم، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: عبد الخالق رشيد، جامعة وهران، كلية الآداب اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2014، ص: 15.

لما قامت حُجة ولا اتّضحَت مَحَجَّة، ولا عُلِمَ الصحيح من السقيم، ولا المُعوَج من المستَقيم».[1]

يعني أنّ الحجاج علم قائم بذاته، له من الأركان والطرائق ما يجعله مميزًا، ومحددًا لأهدافه وماهيته، وهذا النوع من العلوم يصبو إلى معرفة الحقيقة، كما يهدف إلى معرفة الصواب من الخطأ، وذلك بالتمييز الدقيق بين الحق والباطل.

كما قد تطرق إليه "طه عبد الرحمان" بقوله: «إنّ الحجاج هو كل منطوق به، موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحِق له الاعتراض عليها» [2].

ويمثل الحجاج الآلية أو الركيزة الأبرز، حيث أن المرسل يعتمد هنا على اللّغة والتي يتجسد من خلالها الإقناع، هذا الأخير الذي يوصلنا إلى الفهم والإفهام، حسب رأي "الجاحظ".

ويرى "طه عبد الرحمان" أنّ للحجاج وجهين:

أولهما: يتمثل في القصد.

أما الثاني: فقد وافق فيه نظرة القدامى للحجاج في كونه يمثل الغلبة بالحجة.

وقال في الحجاج أيضا: « المرسل عندما يُطالب غيره بمشاركته اعتقاداته، فإنّ مطالبته لا تكتسي طابع الإكراه ولا تُدرَج على منهج القَمع» [3].

بمعنى أنّ المرسل أو الباث لا يرمي في خطابه مع المرسل إليه إلى الاعتماد على الإكراه، وذلك بفرض رأيه أو محاولة تغيير الموقف الفكري لديه، بل يحاول دائما الوصول إلى نتيجة فعّالة، عن طريق الإقناع بأساليب التأثير.

---

[1] أبو الوليد الباجي، المنهج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التركي، دار المغرب الإسلامي، الدار البيضاء، المغرب، ط2،1987م، ص:8.

[2] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1998م، ص:226.

[3] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م، ص: 226.

2/ الحجاج في القرآن:

تتمثل معجزة محمد –صلى الله عليه وسلّم–، في القرآن الكريم: «الذي يُخاطبُ به البشر(الناس أجمعين)، لإقناعهم بالتخلي عن مُعتقَداتهم والإيمان بالمُعتقد الجديد. وقد تعددت مظاهر هذا الإقنَاع في القرآن، فهو إقناع مبني في جانب منه على اللّغة، وبالعودة إلى مضمون الكتاب المقدس، وأسباب النزول، يمكن اعتبار القُرآن خطابًا حجاجيًا، نظرًا لكونه جاء ردًا على خِطابات سواء أكانت علنية أم ضمنية، فهو يطرحُ أمرًا أساسيًا يتمثلُ في: وُجوب الإيمان بالله الواحد الأحد، ويُقدم الحُجج المُدَعمة لهذا الأمر بمستويات مختلفة، ضِد ما يعتقد المُتلقون وما يُقدمون من حُجج، ويرجِع التأكيد على الصفة الحِجاجِية للقرآن، إلى كون المُتقبلين لهذا الخِطاب كُثرًا، وهم من مستويات مختلفة، وكذلك الرافضُون له والعازِفُون عنه، لهم في غالب الأحيان حُجَجُهم رغم ضُعفِها، وهؤلاء أيضًا من مستويات مختلفة، وهذه سِمة أساسية من سمات الخِطاب الحِجَاجي» [1].

3/ الحجـاج مرادف للجـــــدل:

ومعنى "حاجّ" خاصَم: « وهو فعل جاء على زِنَة المُفاعلة، ولا يُعرف لـ"حاجّ" في الاستعمال فعل مجرد دالٌ على وقوُع الخصام، ولا تُعرف المادة التي اشتُق منها.

ومن العجيب أنّ الحُجة في كلام العرب" البُرهان المُصَدق للدعوى"مع أنّ "حاجّ" لا يُستعمل غالبا إلاّ في معنى المخاصمة [...] وأنّه يُفيد الخِصام بالباطل» [2].

ويبدي "ابن منظور" رأيه حول هذا ويشير إلى أنّ: « الحجاج والخُصومة بواسطة الأدلة والبراهين الكلامية والحجج العقلية، فيكون بهذا مرادفًا للجدل، إذ حدّ الجدل عنده: مقابلة الحُجّة بالحجّة. الجَدَلُ: اللّدد في الخصومة والقُدرة عليها. وقد جادَلهُ مجَادلةً وجدالاً. و رجل جَدِلُ: شديد الجدلِ، جادلتُ الرجل فجدلتُهُ: أي غلبته. والجدَلُ شدّة

---

[1] الحواس مسعودي:"البنية الحجاجية في القرآن الكريم"، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1997م، العدد 12، ص:333.

[2] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،(د،ب)، الجمهورية التونسية، (د،ط)، 1981م، 3/ 31 .32

الخُصومة. والجَدَلُ: مقابلة الحجّة بالحجّة. والمجادلة المخاصمة والمُناظرة »[1]. و"ابن منظور" يجعل الحجاج مرادفا للجدل صراحةً فـــي قوله: « رجُل مِحجَاجُ أي جدل» [2].

ويرى "ابن عاشور" أنّ المجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القُدرة على الخِصام والحجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير بذلك [3].

وقال في موضع آخر: « المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجّة عليه» [4].

إنّ الجامع بين اللّفظين(الحجاج والجَدَل) هو "المخاصمة"، لكنّها في الحجاج كما يرى ابن عاشور: « قائمة على الباطل، في حين أنّ الجدل منه ما هو حق، كقوله تعالى:﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ١٢٥ ﴾ [5]، ومنه ما هو باطل» [6].

في قوله تعالى:﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ١٠٧ ﴾ [7].

إنَّ اعتبار القدماء وبعض المحدثين الحجاج مرادفا للجدل، واستخدامهم أحدهما معطوفًا على الآخر، باعتبارهما مترادفين، من شأنه أن يُضيق مجال الحجاج، ويُغرقَه في الجدل. والحل أنَّ الحِجاج أوسعُ من الجدل، فكل جدل حِجاج، وليس كلٌّ حجاج جدل [8].
[8].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة(ج د ل) 99/3.

[2] ابن منظور، المرجع نفسه، 100/3.

[3] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 194/5.

[4] ابن عاشور، المرجع نفسه، 60/12.

[5] سورة النحل، الآية: 125.

[6] قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص: 24،25.

[7] سورة النساء، الآية: 107.

[8] ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص:15/1.

إذا كان: « الجدل يمثّل القسم الإقناعي من الخطاب كما قال "أوليفيي روبول" فإنّ الحجاج هو جوهر الخطابة باعتبارها فنّ الإقناع» [1].

أما ما يراه "جميل حمداوي" أنّ : « الجدل هو تبادل الحُجَج والأفكار، وتبادل وجهات النَظر المختلفة، من أجل الوصول إلى الحقيقة، أو هو ذلك الجِدَال بين الطرفين دفاعًا عن وجهة نظر معينّة» [2].

ويمكن القول أنّ الحجاج الجدلي هو الأقدم في تاريخ الإنسان، وقد كان أغلب الرسل والأنبياء يُجادلون قومهم بالتي هي أحسن، كما فعل نوح، وعيسى، وموسى، وصالح، وهود، وإبراهيم، ومحمد، –صلوات الله عليهم–، وفي هذا النِطاق.

يقول تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[3].

4/ علاقة الحجاج بالجدل والخطابة:

يُعدُّ الجدل مبحثًا فكريا لدى الفلاسفة وعلى رأسهم "أرسطو"، الذي يعرفه: « بكونه علم الاستدلال المنطقي، ولكنّه مع ذلك يُخالف البرهنة من جهة انطلاقه، من مقدمات مشهورة، في حين تنطلق البرهنة في الرياضيات والعلوم، من مقدمات صادقة ضرورية»[4].

كما أكد "أرسطو" وجود الحِجاج في الخَطابة كما في الجدل وهذا يُوحي لنا أنّ: «الحجاج قاسمٌ مشتركٌ بين الخطابة والجدل، فالحجاج في الجدل ومُرتكزاته في الخطابة

---

[1] قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 25،26.

[2] جميل حمداوي، نظريات الحجاج، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)(د،ت) ص:8،9.

[3] سورة النحل، الآية: 125.

[4] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيتُه وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د،ط)، 2011 م، ص:52.

فهي مُرتكزات عقلية خالصة في الجدل، وتكون مرتكزات الحجاج في الخطابة عاطفة بالأساس»[1].

5/ أنــواع الحجـاج:

يُعدُّ "طه عبد الرحمان"، من الدارسين العرب المحدثين الذين اشتغلوا بالحجاج، وهذا ما نلمسه في كتابه المُعَنوَن بـ "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، الذي عقد فيه بابًا سماه:"الخطاب والحجاج"، واستعرض فيه أنواع الحجج، وقد أجملها في ثلاثة أنواع وهذا ما سنتطرق إليه:

1/5- الحجاج التجريدي:

وهذا النوع يهتم بالشكل دون اعتبار للمضمون، يعني كونه يَنْصَب على العبارات على حساب مضمونها. والمقصود بالحجاج التجريدي هو الإتيان بالدليل على الدعوى عن طريقة أهل البرهان، علما أنّ البُرهان هو الاستدلال الذي يُعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض، بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها. فيتبيّن أنّ الحجّة المبنيّة على التجريد، أو قُل الحجة المجردة، ليست إلا مظهرًا فقيرًا من مظاهر الاستدلال[...] وتُبنى على اعتبار الصورة وإلغاء المضمون [2].

وهو عند عبد الرحمان يتجه صَوبَ البُرهان.

2/5- الحجاج التوجيهي:

ونجده « يَقتصِر على المُخاطِب أكثر منه على المُخاطَب » [3].

والمقصود به « إقامة الدليل على الدعوى بالبنَاء على فِعل التوجيه الذي يختص به المُستدل، عِلما بأنّ التوجيه هنا هو فعل إيصال المستدل لحُجَته إلى غيره. فقد ينشغِلُ المُستدل بأقوالهِ من حيثُ إلقاؤه لها، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المُخاطَب لها وردِّ

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي ، ص: 53.

[2] ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 226،227.

[3] طه عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص:228.

فِعله عليها، فتجِدُه يُولي أقصى عِنايته إلى مقاصده، وأفعاله المُصاحبة لأقواله الخاصة، غير أنّ قَصرَ اهتمامه على هذه المقاصد "الأفعال الذاتيّة"، يُفضي به إلى تَناسي الجانِب العلائقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصلُه بالمُخاطب، ويجعَل هذا الأخير متمتعًا بحق الاعتراض عليه» [1].

بحيث تصيرُ فيها الحجة مردودة إلى: « مجموعة من القُصود، ومجموعة من الأفعال، منظورًا إليها من جانب المُستَدِل – أي المُدَّعي–، لا من جانب المستدل له أي– المُعترِض. والحجة المبنية على التوجيه وإن زادت على الحجة المُجردة بفضل اعتبارها لمقام المُدعي، قصدًا أو فِعلاً[...] إذ تُبنى أَصلاً على اعتبار فعل المُخاطِب وإلغاء رد فِعل المخاطَب» [2].

3/5- الحجاج التقويمي:

وهو الذي يقوم بـ« بمراعاة المخاطَب والمخاطِب معًا » [3].

والمقصود به: « إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يُجرِدَ من نفسِه ذاتًا ثانية يُنزِّلها منزلة لمُعترِض على دعواه، فهاهُنا لا يكتفي المستدل بالنّظر إلى فعل إلقاء الحجة إلى المخاطَب واقفا عند حدود ما يوجبُ عليه، من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي، هو نفسه أول مُتلقٍ لما يُلقى، فيبني أدلتهُ أيضًا على مُقتضَى ما يتعيَّن على المُستدل له، أن يقُوم مُستبقًا استفساراته واعتراضاته، ومستحضرا مختلف الأجوبة ومستكشفًا إمكانات تقبُلها واقتناع المخاطب بها» [4].

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداولية–، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص: 470.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص: 470.

[3] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص:228.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص: 473.

وهنا نلمس أن "عبد الهادي بن ظافر الشهري"، قد أعاد الاعتبار للمُتلقي، لكون الحجة تنبني أصلاً على اعتبار فعل الإلقاء وفِعل التلقي معًا، و الحجاج التقويمي أعلاها وأفضلَها نظرًا لما استوفاه من الشُروط في العملية الحجاجية.

6/ **العلاقـات الحِجـاجية:** تتنوع العلاقات الحجاجية وهي كما يأتي:

1/6- **علاقة التتابُع:**

يقع التتابُع إجمالاً على مستويين:

أحدهما: مستوى الأحداث؛ حيث تنغرسُ الحجة في الواقع وتنتهي بداهة إلى أحد الصّنفين وهما: "الحجج المؤسَّسَة على بُنية الواقع" و"الحجج شبه المنطقية".

وثانيهما: مستوى أعمق من الأول، يتّصل بالحجج فيما بينها، حيث تقتضي الحجّة حجّة أخرى وتؤكِّد الأولى [1].

2/6- **العلاقة السببِية:**

تُعد هذه العلاقة من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في المُتلقي: « إذ يحرص المتكلم على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام، دون الاكتفاء بتلاحق عادي بينها، وتتابع طبيعي بينها يجعل الأحداث والأفعال أو الأفكار والأحكام متسلسلة متجاوبة.

بل يعمد إلى مستوى أعمق من العلاقة، فيجعل بعض الأحداث أسبابًا لأحداث أخرى، ويُسّمي فعلاً ما بأنه نتيجة متوقعة لفعل سابق، ويجعل موقفًا معينًا سببًا مباشرًا لموقف لاحق» [2].

---

[1] ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي ، ص:321.

[2] سامية الدريدي، المرجع نفسه، ص: 327.

3/6- علاقة الاقتضاء:

تُعد هذه العلاقة ذات طاقة حجاجية عالية: « حيث تجعل الحُجة تقتضي النتيجة اقتضاء، فتغدو العلاقة ضربًا من التلازُم، وهو ما لا توفّره سائرُ العلاقات الأخرى حتى السّببِية، وأقدر الروابط الحجاجية على توفير هذا النوع من العلاقة أدوات الشّرط المُختلفة»[1].

4/6- علاقة الاستنتاج:

هذه العلاقة منطقية، ممّا يدينُ به الحِجاج للمنطق، وهي تؤكّد أنّ الحجاج في جانب من جوانبه يُعدّ فنًّا للانتقال من فكرة إلى أخرى بشكل مُنظّم وميسّر [2].

5/6- علاقة عدم الاتفاق أو التناقض:

هي علاقة ذات خلفية منطقية واضحة، إذ ندفع أمرًا بإثبات تناقُضه مع نتيجة للخطاب، وأقصى ما نستطيع الحديث عنه: انعدام التوافُق بين الحجة والنتيجة [3].

7/ أشكال الحجاج: يشتمل على ثلاثة أشكال تمثلت في:

1/7- الحِجَاج بالمُغالطة:

يُبنَى هذا النوع على المغالطة في تقديم الحجة، ويُعبَّر عنه باللّغة الفرنسية بمصطلح (paralogisme)، المتكون من جزئين، هما(para)، ونعني به خاطئ، و(logisme)، بمعنى الحُجة. إنّ الحجاج الخاطئ يُقدم على المُقايسة الواهمة، كما يتسببُ في حدوث عيُوب بِنيوية، أثناء تأسيس المُحاججة كالمصادرة على المطلوب، أو الأخطاء الناجمة عن تَعدُدِ الأسئلة، وربما أمكننا التمثيل للمُغالطة الحجاجية بقولنا:

- إنّ إسرائيل دولة نووية وقوة عسكرية، فهي على حق.

---

[1] قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 44.

[2] ينظر: قدور عمران، المرجع نفسه، ص: 44.

[3] ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي ، ص: 344.

يُلاحظ في القول السابق أنّ الحُجة صحيحة(إنّ إسرائيل دولة نووية وقوة عسكرية)، ولكن النتيجة مغالطة(فهي إذن على حق)، لأن التجارب السياسية والأوضاع التاريخية تثبتُ بما لا يدع مجالًا للشك، بأن إسرائيل ظالمة وهي على خطأ.

ومن أنواع الحجاج الخاطئ، "المُغالطة العلمية" التي تُشَخّصُ في تناقض أقوال المتكلم و أفعاله، و نمثل لها من النص القرآني [1]، بقوله تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴿٤٤﴾ ﴾[2]. فيظهر التناقُض واضحًا بين القول والفعل.

ويبدو أن القدرة على المغالطة والخداع والتضليل والإيهام، يملكها الجنس البشري وبعض الكائنات الحية، إمَّا دفاعًا عن النفس، أو سعيًا وراء تحقيق مصلحة من المصالح، إذ هناك من المتكلمين من يرمي بها قصدًا إلى المُغالطة، وهناك من يتناولُها بحُسن نيَّة[3].

2/7- الحجاج بالسلطة:

ومن أدوات الحجاج:« اعتماد التهديد والترهيب، كأسلوب للإقناع الخطابي، وخاصةً في النصوص الدينية والسياسية، ويمكن أن نجد لهذا النوع من الإقناع الذي ينحُو منحَى استسلاميًا، أمثلة عديدة في الخَطابة العربية، كخُطبة "الحجَّاج" لأهل العراق، قوله مثلاً:"من أعياه داؤه فعندي دواؤه". فالحجة (من أعياه داؤه)، نتيجتُها جاءت في شكل تهديد مباشر، من الحاكم (فعندي دواؤه)»[4].

---

[1] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 44،45.

[2] سورة البقرة، الآية: 44.

[3] ينظر: قدور عمران، المرجع نفسه، ص:45.

[4] قدور عمران، المرجع نفسه، ص:45.

3/7- الحجاج بالمثل:

الحجاج بالمثل ينطوي على بعض الخلاف لموضوع القاعدة الخاصة، التي يسعى المثل إلى تثبيتها. ولكن هذا الحجاج يفترض اتفاقًا مُسبقًا، على إمكانية التعميم والتخصيص، أو على الأقل تفادي آثار القصور أو الجُمود لهذا المثل.

الأمثال هي بنيات مستمدة من الواقع الماضي، بما يختزنُه من تجارب إنسانية، وأحداث تاريخية، ذات قيم مجتمعية تحظى باهتمام الأفراد، وتستخدم داخل القول الحجاجي للإقناع، بما تقدمه من تصور وتجريد للأشياء، وما تتضمنه من مشابهة، يستدعيها سياق القول الحجاجي، نظرًا لما تُحدثُه من تماثُلات بينها وبين الأهداف من إدراجها وسوقها، وهي بذلك تدخل في إطار التمثيل الحجاجي. كما يتضح في المثال التالي:

"يداك أوكتا و فوك نفخ": وهو يعني أنك المسؤول عن قضيتك، وهي حكاية تاريخية تُمثل تجربة معينّة، لشخص مسؤول عن فعله. ويتبيّن أن الهدف من المثل هو تقوية درجة التصديق، بقاعدة أو فكرة أو أطروحة، تُقدِم ما يوضح القول العام، ويُقوي حُضوره في الذهن[1].

[1] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 46.

8/ مسار الحجاج في الفكر العربي:

1- الحجاج عند القدماء:

1/أ الحجاج في القرآن الكريم:

قد ورد ذكر الحجاج في القرآن الكريم بمعانيه المتنوعة والمختلفة، حيث نجده[حجاج، جدل، وبرهان]، وهذا في عدة آيات قرآنية، من مثل قوله تعالى ﴿:أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[1].

ومعنى "حاج" خاصم: « وهو فعل جاء على زِنَة المُفاعلة، ولا يُعرَف لحاجٍ في الاستعمال فعل مُجرد دالٌ على وقوع الخصام، ولا تُعرف المادة التي اشتُق منها، ومن العجيب أنّ الحجة في كلام العرب، البُرهان المُصدق للدعوى، مع أنّ "حاج"، لا يُستعمل غالبًا إلا في معنى المخاصمة»[2]. وهي عند "ابن عاشور" قائمة على الباطل[3].

أما في شأن الجدل، فيقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[4].

ونجد أن "ابن عاشور" قد فسرها بقوله: « والمجادلة مُفاعلة من الجدل، وهي القُدرة على الخِصام والحجة فيه، وهي مُنازعة بالقول لإقناع الغير برأيك» [5].

ومن هذا نستنتج أنّ: « الحِجَاج في نظر "ابن عاشور"، مُرادف للجدل، حيث جعل معنى"حاج"، في الآية الأولى بمعنى المُخاصمة، وهذه الأخيرة تكون بِبَاطل وليس بِحق، كما قام بتقسيم الجدل إلى قسمين هما:

"الجدل" الذي أريد به الباطل، ويُسمى بالجدل المذموم.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 258.

[2] قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 46، 47.

[3] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 32،31/3.

[4] سورة النساء، الآية: 107.

[5] ابن عاشور، المرجع نفسه، 194/5.

و"الجدل" الذي أريد به الحق أو الخير سُمِّي بالجدل المحمود»[1]، كقوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2].

وقد ذُكرت كلمة "بُرهان" بِمُعدل ثمان مرات في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[3].

والبُرهان هو أن تأتي بِدليل قاطع لتأكيد صدق الفِكرة التي طرحتها، دون أن يتخلَلَها لَبسُ أو شك.

1/ب الحجاج عند البلاغيين:

وعن ورُود الحِجاج في اصطلاح العرب القدماء ضمن ما طرقُوه من أبواب البحث، فإنه كثُر في مُرادفة لفظ آخر هو"الجدل"[4].

وفي سياق هذا نجد أن هذا اللّفظ قد تناولته كتب"علوم القرآن"، ونذكر منها:

"البرهان في علوم القرآن" "لبدر الدين محمد الزركشي"، وكتاب "الإتقان في علوم القرآن" "لجلال الدين عبد الرحمان السيوطي".

حيث عَنوَنَ كلٌ منهما فصلاً في كتابه سماه:"جدل القرآن"، هذا لتَيقُنِهم الكامل بمدى تداخل الألفاظ مع بعضها البعض[الحجاج، التحاجج أو الاحتجاج، المحاجة]، وهذا لكونها مُرادفة للفظ "الجدل"، حيث تقومُ مقامه، وتسُدُ مسدهُ[5].

---

[1] حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، بحث لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، تخصص لسانيات الخطاب، إشراف: إسماعيل زردومي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010م، ص:16.

[2] سورة النحل، الآية: 125.

[3] سورة البقرة، الآية:111.

[4] ينظر: ليلى جغام، الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص علوم اللسان، إشراف: محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها،2012م، ص: 28.

[5] ينظر: عبد الله صوله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 13/1.

كما وقد لا يُستعمل لفظ "الجدل" البتة، ويُورد عِوضًا عنه مشتقات لمادة: (ح ج ج)[1].

وتجدُر الإشارة هنا إلى أنّ لفظ "الجدل" استُعمِل بمعنى "حجاج"، وهذا ما نلمسُه في مُؤلفات القُدامى، على أنّ كل جدل حجاج، والعكس صحيح، فهما مترادفان بالنسبة لهم[2].

ومن بين البلاغيين الكُثر الذِّين تناولوا الحجاج نذكر منهم:

"الجاحظ أبو عثمان بن عمرو بن بحر"، هذا الذي أطلق مصطلح البيان على الحجاج، وقد وضعه في منزلة الكشف والإيضاح.

ذلك أنّ البيان على حد قول "الجاحظ": « اسم جامع لكل شيء كشف لك قِناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقة، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان ومن أيِّ جنسٍ كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائلُ والسامع، إنّما هي الفهم والإفهام، فبأيِّ سيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع» [3].

وهذا "أبو هلال العسكري" الذي يُصنفه ضِمن الأجناس الكلامية، فيقول فيه: « وهذا الجِنسُ كثيرٌ في كلام القُدماء[...]، وهو أن تأتي بِمعنى وتُؤكدهُ بمعنى آخر، يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته» [4].

وتتجسدُ فاعليَتُه عمومًا في التأثير والإقناع، سواء على مُستوى الخطبة أو القصيدة أو المُحاورة.

---

[1] ينظر: عبد الله صوله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص:13.

[2] ينظر: حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمُؤانسة، ص:18،19.

[3] نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص بلاغة وخطاب، إشراف: عمر بلخير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، 2012، ص: 16.

[4] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص:14.

2 الحجاج عند المحدثين:

إنّ من أصحاب المشاريع الجديدة للدراسات اللغوية والحجاجية خُصوصًا نجد: "أبو بكر العزاوي"، هذا لشدّة تأثُره وإطلاعه على النظريات الغربية التي تسعى دومًا إلى التجديد النافِرة من الرُكُودِ والجمود[1].

ونجد من أهم مشاريعه الحجاجية، تمثلت في مجموعة من الكتب والمقالات، ومن بين أهم كتُبه نجد [اللغة والحجاج]، هذا الأخير الذي سعى فيه جاهدًا للإحاطة بجوانب الحجاج معتبرًا إياه نظرية حديثة، تُقدّم تصورًا جديدًا للمعنى، من حيثُ طبيعته ومجالاته[2].

في حين أن "طه عبد الرحمان": « قد تميزت نظرته للحجاج بطابع فلسفي، لأنه يستند إلى المنطق، فقد زاوج بين القديم العربي والحديث الغربي، فنجدُه عقد بابًا في كتابه " اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، سماه "الخطاب والحجاج"، فهو يرى أنّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفتهُ الحجاجية، بناءًا على أنّه لا خِطاب بغير حجاج» [3].

ومن الباحثين أيضًا الذين عملوا وبحَثوا في هذا المجال نجد، "محمد العمري"، في كتابه "بلاغة الخطاب الإقناعي"، والذي نلمسُ فيه تأثُرَه الواضح بفلاسفة اليونان[4].

وممن تحدث أيضًا عن هذا المصطلح نجد:"سامية الدريدي" و "جميل حمداوي".

---

[1] ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 14،15.

[2] ينظر: أبو بكر العزاوي، المرجع نفسه، ص: 8.

[3] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص:212.

[4] ينظر: حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة، ص:32.

مسار الحجاج في الفكر الغربي:

1 الحجاج عند القدماء:

1/أ الحجاج عند السوفسطائيين:

لقد تغير مفهوم الفلسفة عندهم، فبعد أن كان يدور حول الطبيعة، صار مُنصبًا على الإنسان وهذا التغيُر الطارئ نتيجة اهتمامهم الكبير بالبلاغة، واللّغة، والخطابة، هذه الأخيرة التي عبروا عنها بقولهم: « الخطابة هي الفَن الحقيقي، والأسلوب الصحيح في التفكير »[1].

يعني أنّ كلامهم فيه من الخِداعِ و الدهَاء، هذا لأنّ غايتهم من الحجاج تكمنُ في تحقيق الإقناع، وحمل المُتلقي على الاقتناع، يعني دون مُراعاة جانب الحق أو الباطل.

وكأنّهم يعتمدون مبدأ الذّاتية، بحيث يستغلون الحجاج على حسب المنفعة التي تخدم غايتهم، فالحجاج عندهم عبارة على وسيلة، تُساعدهم في الحصول على النُفُوذ أو السلطة، فهم يعرضون بلاغتهم على المجتمع، سواء أكانت صحيحة أو خاطئة، [كاللعب بالألفاظ، الجذب بالأسلوب القويِّ السَلِس، و...]، وهذا بهدف الحصول على المُقابل المادي([2]).

---

[1] الزاوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المُنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص:12.

[2] حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة، ص: 33.

1/ب الحجاج عند "أرسطو":

يُعتبر"أرسطو" العمدة في عملية الحجاج، فهو المرجع الأساسي لمن جاء بعده غربًا أو عربًا، وخاصة كتابه المُعنونِ "بالخطابة".

وقد تناول "أرسطو" الحجاج من زاويتين مُتقابلتين، من زاوية بلاغية، وأخرى جدلية، ومن الزاوية البلاغية، يربط الحجاج بالجوانب المُتعلقة بالإقناع. ومن الزاوية الجدلية، يُعتبر الحجاج عملية تفكير تتِمُ في بُنية حِوارية، تنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ذات فائدة ترتبط بها[1].

2 الحجاج المحدثين:

1/2 الحجاج عند "بيرلمان" و"تيتيكاه": « Hayim Perelman » et « Clode Tyteca » :

من بين أهم الكتب التي اشتُهر بها "حاييم بيرلمان" و زميله "كلود تيتيكاه"، في الحجاج هو كتاب "مصنف في الحجاج" أو ما يسمى أيضًا "الخطابة الجديدة"، والهدف من هذا الكتاب هو إخراج الحجاج من سيطرة الخطابة والجدل، الذي ظل لفترات طويلة مرادفًا للمنطق نفسه[2].

ونلمس اختلاف الحجاج عن الخطابة فيما يأتي:

أ-**نوع الجمهور**: جمهور الخطابة ينبغي أن يكون حاضرًا، يستمع إلى الخطيب، وهنا يجبُ أن يهتم الخطيب بالمقام، في حين الحجاج لا يعتمد على الحضور والغياب[...]، وكما يمكن أن يكون بين المرء ونفسه[3].

---

[1] ينظر: حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة، ص:12.

[2] ينظر: نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص:20.

[3] ينظر: حامد ناصر الظالمي وعايد جدوع حنون، مفهوم الحجاج، مجلة أبحاث البصرة(العلوم الإنسانية)، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، العدد3، المجلد38، 2013م، ص:109.

ب- نوع الخِطاب: يشترطُ في الخطابة أن تكون منطوقة، في حين الحجاج يمكن أن يكون منطوقًا، ويمكن أن يكون مكتوبًا، كما اهتم كل من "بيرلمان وتيتيكاه"، بالمكتوب أكثر من المنطوق.

وعلى هذا نجد المتلقي في الخطابة، لا يمتلك الوقت الكافي للتأمل فيما يُطرح عليه من آراء ومحاولة مناقشتها. في حين المتلقي في الحجاج المكتوب يمتلك الوقت الكافي للتعبير عن آرائه[1].

ويقدم "بيرلمان"، تعريفا للحجاج مركزًا على وظيفة هذا الأخير يقول: « حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الإقناع»[2].

ومعنى هذا أن الفائدة والهدف من الحجاج تحقيق الإقناع، لأيِّ شخصٍ كان،بموضوع ما دون تعسُف أو إرغام، هذا بترك مجال الحرية والاختيار له.

2/2 عند "ديكرو" و"أنسكومبر" :« Clode Anscomper »

et« Osvald ducrot »

لقد تحدث "أوزفالد ديكرو" عن الحجاج في مؤلفه المشترك مع زميله "أنسكومبر"، المُعنونِ ب"الحجاج في اللُّغة"، ليُقِرا بأنّ الحجاج مُتجذِّرٌ في اللّغة، أي أنَّه لا يمكن فصل اللّغة عن الحجاج والعكس صحيح، حيث يؤكد ويُركز على أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج[3].

---

[1] ينظر: حامد ناصر الظالمي وعايد جدوع حنون، مفهوم الحجاج، ص: 109.

[2] عباس حشاني، "مصطلح الحجاج وبواعثه وتقنياته"، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد9، 2013، ص: 296.

[3] ينظر: حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة، ص: 27.

يعني أنها حجاجية في أصلها، كما يرى هذا الثُنائي أنّ الحجاج في اللّغة إنّما هو:«بيان ما يتضمنه القول من قوّة حجاجية، تُمثلُ مكونًا أساسيًا لا ينفصلُ عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها قوله، وجهة حجاجية ما»[1].

ويقصد هنا مُراعاة حال السامع حين مُخاطبته، وبمعنى آخر، استعمال أسلوب يُناسب مدى قدرة المُتلقي على الاستيعاب.

ثانيا: القسم

يعد القسم من الأساليب الإنشائية غير الطلبية، وارتبط مفهوم القسم مع تعدُدِ أشكاله وأدواته في اللغة العربية بمعنى التوكيد، إلى حد يُمكن القول فيه بأنّ القسم هو التوكيد والعكس غير صحيح.

فدورُ القسم هو إثبات أمر أو موضوع معيّن في نفس السامع، لكي يُزيل ما تعتريه من شكوك.

1/ مفهوم القسم:

لغة:« القاف والسين والميم أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على جمال وحسن ، والآخر على تجزئة الشيء.

فالأول القسام ، وهو الحسن والجمال ،وفلان مقسم الوجه ، أي ذو جمال.والقسمة:الوجه،وهو أحسن ما في الإنسان والأصل الآخر القسم: مصدر قسمت الشيء قسما. والنصيب قِسم بكسر القاف فأمَّا اليمين فالقسم.قال أهل اللغة: أصل ذلك القسامة،وهي الأيمان(...).

---

[1] فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، (د،ط) (د،ت)، ص: 252.

ومما شذّ عن هذا الباب: القسامى، وهو الذي يطوي الثياب أول طيها(...)» [1].

اصطلاحا: وهو عند "صبحي عمر شو"، « أسلوب من أساليب التوكيد يؤتى بها لتوكيد الكلام، لأجل التصديق وإزالة الشّك، أو لتأكيد شيء واقع في المستقبل أو وقع في الماضي، وفيه معنى التعجب أحيانا، وقد يسبق أو يلحق به نفي أيضا»[2].

والقسم أسلوب يراد به تأكيد المعنى ، باستخدام ألفاظ دالة على القسم أو اليمين ، بمعنى تأكيد شيء لدى السامع، من أجل محو أيِّ شك من ذهنه.

2/ صيغ القسم

{ الحلف/ اليمين/ القسم}

أولا- الحلف:

لم يرد الحلف اسما إلا في قوله تعالى:﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ [3].

أما الآيات الباقية وعددها اثنتا عشرة آية ، فقد عبر عنها القرآن بالفعل ماضيا مرة واحدة، ومضارعا إحدى عشر مرة.

وقد جاءت مادة الحلف في أغلب المواضع في القرآن الكريم، دالة على أنَّ الإنسان هنا إمَّا كاذب أو حانث، كما في قوله تعالى: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ ﴾[4].

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، (د،ت) كتاب(قسم) 86/5، 87.

[2] صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم، دار الفكر، عمان، المملكة الأردنية، ط1، (د،ت) ص:59، 60.

[3] سورة القلم، الآية: 10.

[4] سورة التوبة، الآية: 74.

ثانيا- اليمين:

تكرَّر لفظ اليمين في القرآن الكريم للدلالة على القسم، وسُميَّ اليمين "بيمين اليد"، لأنّهم كانوا يتماسحون بأيديهم فيتحَالفون، وكانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئ يمينه على يمين صاحبه، فاليمين في الحلف مستعار من "اليد"[1] .

أنَّ اليمين بقيت تدل على اليد وعلى القسم على حدٍّ واحد، مما يجعل اللفظ في حياته الجديدة لفظًا مشتركًا.

إنّ اليمين تقع موقع القسم، بحيث أنَّ المُتتبِع لآيات القسم المستندة إلى غير الله تعالى يُوضح أن مُعظمها آيات كاذبة، أو محتملة الحنث[2].

يقول تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[3].

يقول تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[4].

يقول عزَّ وجل: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾[5].

---

[1] محمد المختار السلامي، القسم في اللغة وفي القرآن، دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، (د،ت)، ص:21.

[2] ينظر: محمد المختار السلامي، المرجع نفسه، ص: 28.

[3] سورة الأنعام، الآية: 109.

[4] سورة النحل الآية: 38.

[5] سورة فاطر: الآية، 42.

ثالثا- القَسَم:

حيث يكون القسم بالله تعالى ، ولا يمكن للمخلوق أن يُقسِم بغير الخالق، فالله وحده له الحق في أن يُقسِم بما شاء من مخلُوقَاته.

3/ أغراض القسم

ومن أهم الأغراض التي يأتي إليها القسم هي:

1- تحقيق القسم وتوكيده -كما تقدم- ليكون أوقع في التلقي وأرجى للقبول ، كما في قوله تعالى:﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾[1].

2- بيان شَرف المُقسم به وعلوِ قدره ، حتَّى يعرِفَ النَّاس مكانَتَه عند الله ورِفعة منزِلَتِه لديه، كالقسم بِحيَاة النّبِي-صلّى الله عليه وسلّم- في قوله تعالى:﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

3- توجيه النظَر إلى الآيات الكونية، والمشاهِد الطبيعيَة، للتوصُل منها إلى خالقِها، والتأمل فيها تأملا يُبَيِّنُ مبلَغَ نِعمَتِها ، وإنها غير جديرة، وإنما الجديرُ بالعِبادة هو خالقها ، كما في القسم بالآيات والمخلُوقاتِ ، كالسمَاء والأرض والنَّجم ، اللّيل والنّهار والشمسِ والقمر وغيرها[3].

---

[1] سورة يونس، الآية: 53.

[2] سورة الحجر، الآية:72.

[3] ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه وأثره في التفسير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: صدِّيق أحمد مالك علي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، سنة 2012، ص: 43،44.

كما في قوله تعالى :﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ ﴾[1].

4- إظهار التحسُر والندم، كما في قوله تعالى:﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [2].

5- الاعتراف بالذَنبِ والحق، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾[3].

وكما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[4]

6- إظهار الشفقة والرحمة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۝٨٥ ﴾[5].

7- إظهار التَضَجُّر والاستهزاء من أمرٍ ما [6]، كما في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ۝٩٥ ﴾ [7].

---

[1] سورة الشمس، الآيات: 1،7.

[2] سورة الشعراء، الآية: 97.

[3] سورة الأنعام، الآية: 30.

[4] سورة يوسف، الآية: 91.

[5] سورة يوسف، الآية: 85.

[6] محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، ص:44.

[7] سورة يوسف، الآية: 95.

4/ أنواع القسم في القرآن الكريم:

إنَّ الأقسام التي وردت في كتاب الله ، وذكر فيها المُقسم به تتنَوع إلى سبعة أنواع ، تِبعًا لمن صدر منه القَسَم:

1- « الأقسام التي أقسم بها اللهُ تعالى.

2- الأقسام التي أقسم بها رسول الله -صلّى اللهُ عليه وسلّم-.

3- الأقسام التي أقسم بها نبيُّه إبراهيم -عليه الصلاة والسّلام-.

4- الأقسام التي أقسم بها الصالحون من المؤمنين.

5- الأقسام التي أقسم بها الكَفَرة.

6- الأقسام التي أقسم بها المُنافقُون.

7- ما أقسم به إبليس»[1].

5/ ما أقسم الله عليه في القرآن:

يرى "ابن القيِّم" أنّ المُقسم عليه هو أصول الإيمان التي يَجِبُ على الخلقِ معرفتُها ، وأجمعَها في خمسَةِ أنواع هي:

1- القسم على التوحيد.

2- القسم على أنّ القُرآن حق.

3- القسم على أنّ الرسول حق.

4- القسم على الجزَاء والوعد والوعيد.

5- القسم على حال الإنسان [2].

---

[1] محمد المختار السلامي، القسم في اللغة وفي القرآن، ص:79.

[2] ينظر، ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، المطبعة الميمرية، مكة المكرمة، ط1، 1321هـ، ص:3.

ثم مثّل لكُل نوعٍ من الأنواع الخمس بَبعض الأمثلة.

إنّ ما ذكره ابن القيّم صحيح إلاّ أنه غير جامع، إذ إنّ المتَتَبِّع لأقسام الله في القُرآن يجدُها تَشتَمل الأنواع الآتية: [1].

1- القسم على الوحدانية ، وذلك مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤﴾ [2].

2- القسَم على القُدرة التي لا يُعجِزُها شيء وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١ ﴾ [3].

وفي قوله تعالى :﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٢ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ۝٧٣ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴾[4].

3- إحصَاء أعمَال الإنسان ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ [5].

---

[1] ينظر: محمد المختار السلامي، القسم في اللغة وفي القرآن، ص:94.

[2] سورة الصافات، الآيات: 1،4.

[3] سورة المعارج، الآية: 41.

[4] سورة الحجر، الآيات: 72،74.

[5] سورة الطارق، الآيات: 1،4.

فالحافِظ يحتَمِلُ أن يكون هو العلم الإلهي، والهيمنة والرّقابة الكاملتين لله على كُل نفسٍ بشرية كما جاء في قوله تع الى:﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾[1].

ويحتَمِل أن يكُون المُراد به الملائك ة الذِّين أَوكَل الله إليهم حِفظَ عمل ابن آدم ، كما في قوله تعالى:﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠﴾[2].

4-القَسَم على ما يتعلق برسول الله – صلى الله علبه وسلم- و يشمل ذلك[3]:

أ: أنّه مُرسَل من ربِّه ، يَنضَمُّ إلى موكِبِ رُسُل الله الهَادِين ، وأن الشيطان قد صدّ أقوامًا عن قُبولِ ما أنزله الله عليهِ من البَيّنات والهُدى ، قال تعالى:﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤﴾[4].

وقال تعالى:﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣﴾[5].

ب: أنّه موحى إليه وهو بعِيد عن الضَلالِ والغِوَاية ، و اتّباع الهوى، قال تعالى﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾[6].

---

[1] سورة هود، الآية: 57.

[2] سورة الانفطار، الآية: 10.

[3] محمد المختار السلامي، القسم في اللغة وفي القرآن، ص:95.

[4] سورة يس، الآيات: 1،4.

[5] سورة النحل، الآية: 63.

[6] سورة النجم، الآيات: 1،4.

ج: أنه مُنعمٌ عليه ، وهو بعيد عن الجنُون ، مكرّم عند ربِّه ، بما حفِظ له أجر على جهاده، في سبيل تبليغ ما أُمِر به ، قال تعالى: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[1].

د: أنّ الرسُول –عليه الصلاة و السلاَّم– عزيزٌ مكرم عند ربِّه لا يُهمِله ولا يجفُوه ، وأنّ تكريم الله له ما يزالُ يتوالى فيضُه ، فيرتقي به في درجات القُرب ويُوالي عليه نعمته ، حتى يحصّلَ له الرِّضا ، يقول تعالى:﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾[2].

هـ: أن تحكيمه في الأمور وقُبول أحكامه برضا هو دليل صدقه، وإنْ كَرِهَ الكافرونَ[3]، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥ ﴾ [4].

---

[1] سورة القلم، الآيات: 1،4.

[2] سورة الضحى، الآيات: 1،5.

[3] محمد المختار السلامي، القسم في اللغة وفي القرآن، ص: 96.

[4] سورة النساء، الآية: 65.

5- القسم بالقُرآن: ويشمل ذلك[1]:

أ: أنَّهُ عربي من عند الله، قال تعالى :﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾[2].

ب: أن الله قد تَخيّر زمن إنزَاله ، فكان في ليلة مباركة ، فقال تعالى :﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾[3].

ج: أنه كلام كريم فيضه، لا ينفذُ عطاؤه، ولا يَعدمُ الراجعُ إليه الهداية الراشِدة، والحل الصحيح لمشكلات الإنسان في الحياة ، وأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قال تعالى:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ ﴾[4].

د: أنه جدٌ، لا هزل فيه، فما كان اللهُ عابثا، قال تعالى:﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤﴾[5].

---

[1] محمد المختار السلامي، القسم في اللغة وفي القرآن، ص:95،96.

[2] سورة الزخرف، الآيات: 1،3.

[3] سورة الدخان، الآيات: 1،3.

[4] سورة الواقعة، الآيات: 75،78.

[5] سورة الطارق، الآيات: 11،14.

هـ: وأنه قول رسُول كريمٍ شريفٍ، لا يتزيدُ على ربِّه ولا يُنقص شيئًا ممَّا أوحى الله به إليه[1]، قال تعالى:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ﴾[2].

وفي قوله أيضًا: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠ ﴾[3].

6- البعثُ والحِسابُ والجَزاء:

أ: أنَّ البعثَ بما يتبعهُ حق [4]، قال تعالى:﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴾[5].

وقال تعالى:﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴾[6].

---

[1] محمد المختار السلامي، القسم في اللغة وفي القرآن، ص: 95،96.

[2] سورة التكوير، الآيات: 15،19.

[3] سورة الحاقة، الآيات: 38،40.

[4] محمد المختار السلامي، المرجع نفسه، ص:96.

[5] سورة الذاريات، الآيات: 1،6.

[6] سورة المرسلات، الآيات: 1،7.

وقال تعالى:﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾[1].

ب: الحشـــر [2]، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ۝٦٨﴾[3].

ج: السـؤال، قال تعالى:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[4].

﴾[4].

وقال:﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ۝٥٦﴾[5].

7- أحوال النفس البشرية:

أ: عِنادُ النفس ، ممثّلا في أنَّ جدل الكافرين لرسُول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لم يكُن صادرًا عن قُلوبٍ مُطمَئنة لما هي عليه ، بل إنّ قُلوبهم مضطربة وسط الحيرة والاختلاف ،فسَجل القُرآن كثيرًا من اختلافاتهم ، في ردّ الرسالة المُحمدِية ، ورفض الدّين الإسلامي.

فقالُوا مرة: إنَّما يُعلِّمه بشر ، وقالُوا مرة: يا أيُّها الذي نزّل عليه الذِّكرُ إنَّك لمجنُون وقالُوا مرة: أضغَاثُ أحلامٍ، بل افتَراه، بل هو شَاعر[6].

---

[1] سورة الطور، الآيات: 1،8.

[2] محمد المختار السلامي، القسم في اللغة وفي القرآن ، ص:97.

[3] سورة مريم، الآية: 68.

[4] سورة الحجر، الآيات: 92،93.

[5] سورة النحل، الآية: 56.

[6] ينظر: محمد المختار السلامي، المرجع نفسه، ص:97،98.

وقالوا: إن هذا إلاَّ سحرٌ يُؤثَر ، إن هذا إلا قول بشر ، ولكنّهُم ما كانُوا يشعُرون بتناقُضِهم، وكانوا يعتَقِدُون جازِم الاعتقاد أنّهم أولُوا الرأي الراشِد ، والعقل السدِيد ، وأنّ منهجَهُم لا اختِلاف فيه ، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾[1].

ب: أنّ الإنسان قد فَطرهُ الله على المُكَابَدَة والمُعاناة، سواء في تَركيبِه المادي، أو في تركيبِهِ العقلي والرُوحي ، في كُل ذلك فهو مُحتاج إلى ضُروب من الجدّ ، وأنمَاط من المُعاناة، وصُور من المُكابدَة، وأنَّه لا يحصُل على أيِّ شيء إلاّ إذا سعى إليه، وتحمّل ما تحَمّل، والأمرُ كذلك في شؤُون المُجتمع، والأسرَة.

قال تعالى:﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾[2].

ج: إنّ العَملَ الصالح ، يزيد من ثبات النفس، ويبعدها عن كل ما يشغلها عن خالقها، الذي وفرّ لها من الخيرات مالا يُعدُّ ولا يحصى.

قال تعالى﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝٥﴾[3].

وقال تعالى:﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[4].

---

[1] سورة الذاريات، الآيات:7،8.

[2] سورة البلد، الآيات:1،4.

[3] سورة التين، الآيات: 1،5.

[4] سورة العصر، الآيات:1،3 .

د: إنَّ ما انطَوت عليه نفُوس المُنافقين لا يخفَى على الله، وإنّ كِذبَهُم مفضُوح [1].

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[2].

وقوله أيضًا: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [3].

6/ أدوات القســـــم:

للقسم أدوات تصِلُ بين المُقسَم والمُقسم به وهي:

[الواو، والباء، والتاء، واللاّم][4].

قال سيبويه: « وللقسم والمقسم به، أدوات في حروف الجر، وأكثرها: "الواو"، و"الباء"، يدخلان على كُل محلوفٍ به»[5].

1 – "الباء": هي الأصل في القسم، لأنّها الحرف الذي يتعدى به الحلف، يُقال: أحلفُ بالله، أقسِمُ بالله.

ويؤيِّدُ هذا القول أنّها الأصل في القسم، فهي تدخل على المضمر كما تدخل على المظهر، فنقول: بالله لأقومنَّ.

---

[1] محمد المختار السلامي، القسم في اللغة وفي القرآن، ص: 97،98.

[2] سورة الحشر، الآية: 11.

[3] سورة المنافقون، الآية: 1.

[4] ينظر: الزجاجي، الجمل في النحو، تحقيق: علي توفيق المحمد، دار الأمل، إربد، الأردن، ط1، 1404هـ-1984م، ص: 70.

[5] ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د،ط)، 1412هـ-1992م، 3/496،497.

2 – "الواو": والظنُّ أنّ أصلها "الباء"، كما ذكر بعض النحويين، وذلك أنّه لما كثر استعمال "أقسم بالله" ونحوه، أرادوا التخفيف، حذفوا الفعل أولاً، فقالوا: "بالله"، ثُم تدرجوا فأبدلوا "الباء" "واوا"، لأنّ "الواو" أخف، فقالوا: "والله".

3 – "التاء": بدل من "الواو"، كما قالوا: (تُراث في وُراث)، لهذا قَصُرت عن "الباء" و"الواو"، في دخولها على لفظِ الجلالة "الله"، وغيره فهي لا تدخل إلاّ عليه[1].

4 – "اللاّم": وتكون للقسم والتعجبِ معًا، وتختَصُ باسم الله تعالى[2].

7/ أنواع القســـم:

وللقسم نوعان (صريح ومضمر):

1/7– القسم الصريح أو الظاهر:

وهو ما كان فيه القسم صريحًا أو ظاهرًا، ويُستدل عليه بحرف القسم، نحو قوله تعالى:﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨﴾ [3].

أو يُستدل عليه بفعل القسم نحو: " أُقسِمُ لا أنسى المعروف"، أو يُستدل عليه بالحرف والفعل معًا، كقوله تعالى: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَا﴾ [4]. أو يُستدل عليه بلفظ من ألفاظ القسم اسما كان أو مصدرًا، نحو: يمين الله ما أنا بقائم[5].

---

[1] ينظر: جمله داود عبد الجليل عياش، أسلوب الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث الشريف، شهادة لنيل درجة الماجستير، إشراف: عودة خليل أبو عودة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010م، ص:22.

[2] عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 1461هـ–2001م، ص: 163.

[3] سورة الذاريات، الآية: 7،8.

[4] سورة الأنعام، الآية: 109.

[5] ينظر: جمله داود عبد الجليل عياش، المرجع السابق، ص: 22 ،23.

والقسم الصريح نوعان:

الأول: القسم الاستعطافي:

وهو ما كان جواب القسم فيه جملة إنشائية، وهو قليل في أساليب القسم، وتختص به "الباء" من بين حروف القسم، نحو: " بالله هل ترحَم الضعيف". جملة إنشائية دلت على الاستفهام[1].

الثاني: القسم غير الاستعطافي:

وهو ما كان جواب القسم فيه جملة خبرية، وهو الكثير الشائع من أساليب القسم، نحو: " بالله لأساعِدَنّ الضعيف"[2].

2/7- القسم المضمر:

وهو عكس الصريح وله نوعان:

النوع الأول: ما دلّت عليه اللاّم، وهو ثلاثة أقسام:

أ - ما دلت عليه اللاّم المقترنة بأداة الشرط، كقوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3].

فاللاّم في (لَئِن)، موطئة لقسمٍ مضمر، والثانية هي (لام القسم).

---

[1] ينظر: جمله داود عبد الجليل عياش، أسلوب الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي وبين لغة الحديث الشريف ، ص: 22.

[2] ينظر: جمله داود عبد الجليل عياش، المرجع نفسه، ص: 22.

[3] سورة يونس، الآية: 22.

ب- ما دلت عليه اللاّم المقترنة ب"قد".

جـ- ما دلت عليه اللاّم المقترنة بالفعل المضارع، المُتصِل بنون التوكيد [1]، كقوله تعالى:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾[2].

اللاّم في "لَنَبلُوَنَّكم"، واقعة في جواب قسم مُقدر.

النوع الثاني: هو ما دّل عليه المعنى، أو كانت ألفاظه جارية مجرى القسم[3]. كقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾[4]. والتقدير "والله".

و قوله تعالى :﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[5].

بمعنى تمت كلمة ربِّك يمينًا.

---

[1] ينظر: جمله داود عبد الجليل عياش، أسلوب الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث الشريف، ص: 22، 23.

[2] سورة محمد، الآية: 31.

[3] ينظر: جمله داود عبد الجليل عياش، المرجع نفسه، ص:23.

[4] سورة مريم، الآية: 71.

[5] سورة هود، الآية: 119.

8/ أركـــــــــــان القســـــــم:

المقسم به: هو كل اسمٍ لله أو ما يُعَظمُ من مَخلوقاته لأن المُقسم به مُعَظّمٌ عند الشَخص المُقسم، وهو يَصلُح لتأكيد خبر المُقسَم عليه.

المُقسَم عليه: هو كل جُملة حلفَ عليها أو بها بإيجَاب أو نَفي.

حروف القسَم: وهي الحروف التي يَصلُ بها القَسَم إلى المُقسم ب هـ، وهي: (الباء، والواو، والتاء) [1].

[1] ينظر: حليمة أحمد عمايرة، أسلوب القسم في العربية دراسة وصفية إحصائية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة اليرموك، المملكة الأردنية الهاشمية، الحولية الثالثة والستون، 1434هـ-2012، ص:25،26.

الفصل الثاني:

الدلالة الحجاجية لحروف القسم

في القرآن الكريم

- نماذج مختارة-

تنوع القسم وتعدّد في القرآن الكريم، حيث نجد أنَّ الله تبارك وتعالى قد حرَّم على أن يُقسَم بغيره. سواء كان هذا القسم بمخلوقاته، أو قسم مخلوق بمخلوق آخر، فالله سبحانه وحده من له الحق في أن يقسم بمن شاء في هذا الكون، وما على الإنسان إلَّا أن يُقسِم بالمولى عزّ وجل وأن يتدبَّر ويتأمل في قدرة الخالق الصمد.

فقد جاء القسم بلفظ الجلالة في القرآن الكريم في عشرة مواضع مرتبتًا حسب ورودها في المصحف على النحو الآتي:

1- **يقول تعالى:** ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾[1].

2- **يقول تعالى:** ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾[2].

3- **يقول تعالى:** ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [3].

4- **يقول تعالى:** ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾[4].

5- **يقول تعالى:** ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾[5].

6- **يقول تعالى:** ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[6].

---

[1] سورة الأنعام، الآية:23.

[2] سورة يوسف، الآية:73.

[3] سورة يوسف، الآية:85.

[4] سورة يوسف، الآية:91.

[5] سورة يوسف، الآية:95.

[6] سورة النحل، الآية:56.

7- يقول تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

8- يقول تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2].

9- يقول تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ ﴾[3].

10- يقول تعالى: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ ﴾[4].

---

[1] سورة النحل، الآية: 63.

[2] سورة الأنبياء، الآية: 57.

[3] سورة الشعراء، الآية: 97.

[4] سورة الصافات، الآية: 56.

1/ القسم باسم الجلالة مع "التاء" في [تالله]:

على المخلوق أن يقسم بالخالق عزّ وجل، أو بأي اسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته، ولا يجوز له أن يقسم بالمخلوق، أو بأي شيء غيره.

يقول تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

جاءت (تالله)هنا جملة القسم، وجملة (**إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**) جاءت جواب للقسم. وهذا لأنَّهم كانوا في عدول وانحراف عن الحق، وقد علموا بأنهم خسروا دنياهم وآخرتهم فالتقرير[*]، والاعتراف واضح وجليّ. وفي هذه الآية تأكيدٌ على شِدَّة الندّم لدى الكفار، هذا لكونه ابتعدُوا كُلَّ البُعد عن الحق[2].

فالندم، جاء تمثيلاً[**] لحالهم كونُهم خسروا حياة الدنيا والآخرة، هذه الأخيرة التي وقفوا عليها، بعدما طغوا في كُفرهم وكذبوا الأنبياء والرسل–عليهم السَّلام–، كما تمثلت قوة هذا القول في اعتراف المشركين بخطئهم، وهو أنَّهم جعلوا لله أندادًا[3].

---

[1] سورة الشعراء، الآية:97. « اشتهرت هذه السورة باسم "الشعراء" لأنها تفردت من بين سور القرآن بذكر كلمة الشعراء، و تُسمى أيضا"الجامعة"» ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، (د،ب)، تونس، (د،ط)، 91-89/19

[*] "التقرير": «هو حمل المخاطب على الإقرار بشيء يعرفه، وهذا الغرض أوقع في النفس، وأدّلُ على الإلزام». السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ-1987م، ص: 268.

[2] ينظر: ابن عاشور، المرجع السابق، 153/19. و الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرشاني، دار هجر، ط1، 1422هـ-2001م، 516/5.

[**] "التمثيل": «هو أن يُراد الإشارة إلى معنى فيوضع لفظ بمعنى آخر، ويكون ذلك مثالاً للمعنى الذي أريد الإشارة إليه». ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د،ط)، 1385هـ، 1939م، 201/2.

[3] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، لبنان، ط1، 2012، ص: 89.

والبعد الحجاجي لهذه الآية تمثل في: إعلان النَّدم وشدَّة الحسرة على ما وصلوا إليه[1]، فالله تعالى حذرهم فأنذرهم ثم أوقع عليهم عذابه.

وقوله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾[2].

قال إخوة يوسف: « (تالله)، يعني(والله)، وهذه التاء في(تالله)، إنّما هي(واو)، قلبت تاء، و التاء جاءت هنا تاء القسم، وإنّما جعلت تاء لكثرة ما جرى على ألسن العرب في الأيمان في قولهم:(والله)، فخصّت في هذه الكلمة بأن قلبت تاء، ومن قال ذلك في لفظ الله فقال(تالله)، ولم يقل(تالرحيم)، و(تالرحمان)، ولا مع شيء من أسماء الله، ولا مع شيء مما يقسم به، ولا يقال ذلك إلاَّ في(تالله)، وحده » [3].

وفي قولهم:(قالوا تالله)، قسم فيه معنى التعجب[4]، هذا لأنَّهم تعجبوا من رميِهم بما ذُكرَ مع ما شاهدوه من حالهم، فقد كانوا يضعون الأكمة على أفواه إبلهم، لئلا تنال من زروع الناس وطعامهم[5].

وقولهم:﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾[6].

قال فيها المفسرون: « إنَّهم حلفوا على أمرين: أحدهما: على أنَّهم ما جاؤوا لأجل الفساد في الأرض، والمقصود هنا أرض مصر، فقد اتُهِموا بالجوسسة آنذاك.

والثانية: «أنّهم ما كانوا سارقين» [7]. ودليلُهم أنهم أعادوا البِضاعة التي رُدَّت في رحالهم.

---

[1] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 89.

[2] سورة يوسف، الآية: 73.

[3] الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 375/4.

[4] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، (د،ت)، 171/3.

[5] ينظر: الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د،ط)(د،ت)، 26/13، 27.

[6] سورة يوسف، الآية: 73.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1401 هـ-1981م،184/18.

وهذه الآية تسعى إلى تحديد و تحقيق شيء من البرهان، الصادر من الباث نحو المتلقي، بهدف إثبات كلامه.

وفي هذا القسم زيادة تقرير في إثبات وتأكيد كلامهم، وذلك بنفي ما اتُهموا به، كونُهم متيقِنين كل اليَقين بِنزاهة أنفسهم من (الفساد والسرقة)، وقد عبروا عن النّفي بفعل الكون، ليدُلُّوا على نفي كونهم متصفين بالسرقة اتِّصاف السَجِيّة وهذا معنى أبلغ، لأنَّه ينفي مطلق الصفة لا مُجرد وُقوعِها منهم في وقت مُعين، هذا لما فيه من المبالغة في تحقيق المقسم عليه[1].

ومما زاد من قوة تأكيد المُقسم عليه، أن العلم جاء مؤكدًا بـ"لام" التوكيد الداخلة على"قد"، التي تُفيد التوكيد-كذلك-[2].

والملفوظ في هذه الآية تقريري، تمثلت قُوته في تأكيد نفي تلك السِمة الذَّمِيمة التي اتُهموا بها، في حين أنَّ البُعد الحجاجي هنا عدّه البعض تأكيدًا نظرًا لأهميته لما فيه من إفادة معنى التعجب[3].

---

[1] ينظر: علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم، مذكرة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد، إشراف: فتحي عبد القادر فريد، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، 1411هـ-1991م، 275/1.

[2] ينظر: علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، المرجع نفسه، 1/ 284.

[3] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 146 ،155.

يقول تعالى:﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦﴾[1].

اشتملت هذه السورة –سورة النحل–، على إكثار متنوع الأدلة على تفرُد الله تعالى بالإلهية، والأدلة على فساد دِين الشِّرك وإظهار شناعته، وأدلة إثبات رسالة النّبِي المصطفى–عليه السَّلام–، وإثبات البعث والجزاء، ولما فيها من إنذار وتذكير وعبر[2].

والمقصود بـ(مالا يعلمون)، هو"الأصنام"، وإنّما عُبر عنها بهذا اللَّفظ، قصد السخرية[*]، و الزيادة في تفظيع سخافة آرائهم، لكونِها أشياء لا يعلمون حقائقها، وإنّما هي من نسج تخيُلاتِهم، لا هي من الوجود ولا من الإدراك، بل تعود بالضُر على صاحبها[3].

فما أعظم كيد الشيطان للمقلدين، حيث استدرجهم إلى أن قلَّدُوا الآباء في عبادة التماثيل، والرضُوخِ لها اعتقادًا منهم أنَّهم على حق[4].

والمراد (بالنصيب)، هنا ما نالهم من حظٍ و جزاءٍ مما رزقهم الله، من الأنعام والحرث وغيرهما، مما ذرأ تقربًا إلى الآلهة، وفي هذا إشراك منهم بالله، الذي يعلمون أنه خلقهم فهو الذي ينفعُهم ويضُرهم دون غيره، وهذا الوصف(النصيب من الرِّزق)، فيه إشارة لتشنيع ظُلمِهم[5].

---

[1] سورة النحل، الآية: 56.

[2] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 95/14.

[*] "السخرية": «هي صورة بلاغية، وهي طريقة من طرق التعبير، يستعمل فيها الفرد إيماءات أو ألفاظًا تفيد معنى غير ما قصده المتكلم، والغرض منها الاستهزاء ». السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 146.

[3] ينظر: ابن عاشور، المرجع السابق، 181/14.

[4] ينظر: السكاكي، المرجع السابق، ص: 272.

[5] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 55/20.

وقد احتوت هذه الآية على القسم لما فيه من تمام وكمال الغضب من شِدَّة الوعيد، متمثلًا في قوله تعالى:**(تالله لتُسألن)**، حيث وقعت سؤال توبيخ(*)، وتقريع(**)، في الآخرة[1].

وجملة المقسم عليه مؤكدة –بالإضافة إلى القسم–، باللّام المؤكدة ونون التوكيد الثقيلة، في قوله:**(لتُسألُن)**[2].

والقسم "بالتاء"، يختص بما يكون المقسم عليه أمرًا عجيبًا و مستغربًا، هذا لكون المشركين يسألون سُؤالًا عجيبًا، بمقدار غرابة الجُرم المسؤول عنه، والتعبير عنه بقوله: **(كنتم تفترُون)**، كنايةً عن استحقاقهم العقاب، لأنّ الكذِب على الله جريمة[3].

والغرض من هذا القسم، تبكيتُهم "التبكيت"(***)، وتأكيد إيقاع العقوبة التي يستحقونها، من تحقيرٍ و إذلالٍ، كونهم أجرموا جُرمًا عظيمًا بافترائهم على الله تعالى، وجعلهم نصيبًا من رزق الله لهذه الأوثان، واستخدام نعمته التي منَّ بها عليهم في معصيته سبحانه[4].

فالله عزَّ وجل ليس بظلامٍ للعبيد وإنّما يجازي كل نفس بما كسبت.

(*) "التوبيخ": «هو اللّوم الشديد، العنيف، يُوجَه إلى شخص إعرابًا عن استيائه، ويكون عن فعل وقع خطأ أو بقصد». أحمد مطلوب، أساليب بلاغية الفصاحة–البلاغة–المعاني، دار القلم، الكويت، ط1، 1979م، ص: 116.

(**) "التقريع": «هو أشّد العتاب، ويراد به اللّوم». عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 1421–2001م، ص: 160.

(1) ينظر: الألوسي، روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، (د،ت)،167/14. و الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 528/4. و ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 181/4.

(2) ينظر: علي بن عبد المحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم، 263/1.

(3) ينظر: ابن عاشور، المرجع السابق، 181/4 ،182.

(***) "التبكيت": «وهو من "بكت"، "بكتَّه" غلبه، وهو إلزام الخصم الحجة، وإسكاته، فلا يُوفَق إلى جواب». القزويني، في الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ–2003م، ص: 130.

(4) ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه وأثره في التفسير، رسالة لنيل درجة الماجستير، تخصص: التفسير وعلوم القرآن، إشراف: صدِّيق أحمد مالك علي، جامعة أم القرى، كلية الدعوى وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، 1443هـ–2012م، ص: 58.

ويُعد هذا من أعظم سوء الأدب مع المُنعِم جلّ وعلا، مما زاد من سخط الله عليهم، فأقسم على أن يسألهُم سؤال توبيخٍ وتقريعٍ عما فعلُوا، وأنّ هذا السؤال واقعٌ لا محالة[1].

فالله جلَّ ذكره أقسم بنفسه على أن يسأل المشركين، وهذا لما فيه من تهديد وتوبيخ وإنكار وتذليل المُخاطب، لكونه سُؤالًا جاء في وقت الحاجة إلى الإغاثة والعون[2].

تحمل هذه الآيات في جوانِبها حُججًا قوية على نِعم الله على نعم الله التي أحاط بها عباده، هذه الحُجج يفترض أنَّها تخدم نتيجة واحدة أساسية، وذلك من قَبِيل أنَّهم: "يشكرون الله على نِعمِه و يخُصونه بالعبادة".

إلاّ أنّ الجزء الثاني من الآية [من تالله إلى غاية تفترُون]، تضمن حجة عكسية ومُضادة للنتيجة السابقة، هذا لأنّ: "القوم جاحدُون لنعَم الله، ظالمون لأنفُسِهم".

وعليه فالوظيفة الحجاجية هنا تمثلت في التعارض الحجاجي، بين الحجة الأولى والثانية، وكما يبدو جليًا تحقق علاقة عدم الاتفاق أو التناقض، التي ربطت الحجة بالنتيجة، يعني أنّها تدفع أمر بإثبات تناقضه، مما يستدعي بالضرورة الحُصول على نتيجة عكسية، لانعدام التوافق بين الحُجَج التي تنُّصُ على نِعم الله لهؤلاء المشركين من عباده، والنتيجة التي آل إليها حالهم وهي ظُلمهم لأنفسِهم[3].

في حين أنّ البعد الحجاجي لهذه الآيات يكمن في الوعيد وزَجرِ المشركين[4].

---

[1] ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، ص: 58.

[2] ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 315.

[3] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 97 ،98.

[4] قدور عمران، المرجع نفسه، ص: 99.

2/ القسم باسم الجلالة مع "الواو" في [والله]:

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

الغرض من القسم هو التأكيد والإثبات[2]، على نفي الشِّرك عنهم، حيث أقروا بإيمانهم لله تعالى على أنَّه ربُّهم، والسبب في نفي الشِّرك عن أنفُسهم في ذلك اليوم(القيامة)، هو أنَّ الله جلّ ثناؤه، يعفو عن الذنوب جميعًا، عدا الشرك به، وعندها يقولون: تعالوا نُقسم على نفي الشرك، لنَنجُو من عِقاب الله عزّ وجل.

فيحاولون أن يُقسموا إلّا أنّ الله تعالى، يختم على أفواهِهم وتشهد أرجُلهم وأيديهم بما كانوا يكسبون[*]. هذا لأنّ تجبُرهم و تَعنُّتهم، نابع من قلوبهم قبل ألسنتهم. وفي هذا يقول تعالى:﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[3].

والسبب في تأكيد نفي الشّرك مرَدُّه إلى حقيقة دُنيَوِيَة، أي ما كانوا عليه في حياة الدُنيا، وعِلمهم بِصدق نُبُوة النَّبي الكريم، فيما جاء به، وما أخبرهُم عنه من [التصديق الجازم بوحدانية الله، والإيمان بالرسول –عليه السلام–، وباليوم الآخر من" جنة ونار"].

وهنا نجدُهم قد اتَّبعوا شهواتهم، وتملَّكتهُم أنفُسهم، و أغشَت على قُلوبِهم، فما كان في الأخير إلّا أن نالوا الجزاء الذي وعدهُم به جلّ جلاله، من إهانة واحتقار وإذلالٍ عظيمين.

فالمشركون حاولوا نيل غُفران الله، حينما أقسموا تأكيدًا بنفي الشّرك. هذا الأخير الذي أتى في صورة قوية، مُناسبًا لما تقدم من سُؤالهم عن الشُركاء، في صورة إلصاقهم

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 23.

(2) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، دار الطباعة المنيرية، القاهرة، مصر، (د،ط)(د،ت)، 93/9.

(*) جاءت الإشارة إلى هذه الشهادة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، من بينها: [سورة النور، الآية: 24. و سورة يس~، الآية: 65].

(3) سورة النحل، الآية: 83.

بهم غي قوله: **(أين شُركائكُم)**، لأنَّ هذه الإضافة تجعَلُهم شركاء مُلازمين لهم، لا يُعرَفُون إلَّا بالإضافة إليهم[1].

فلما كان سؤالُهم عن الشركاء مُتضمنًا تأكيد اتخاذِهم شُركاء، على سبيل المُلازمة والمُداومة[*]، حرِصُوا على المُبالغة في نفي ذلك، فأقسموا على نفي الشِّرك أصلًا، وقالوا:**(واللهِ ربِّنا ما كنا مُشركين)**، ولاسيما أن صورة السُؤال عن ذلك، قوله:**(أين شُركائكم)**.

هذا يتضمن تأكيد نسبة الشِّرك إليهم عن طريق الإيماء[**]، إلاّ أنَّه لا يسألهم عن شِركهم، لأنه أمر يقيني واضِح.

وإنّما الشأن أن يسألهم عن الشركاء، هذا لكونِهم مشركين، مع ما فيه من التعريض[***]، بعدم نفعِهم إياهُم[2].

ويحمل هذا التأكيد على القسم من معاني التحسر والنّدم، ولومِ النفسِ، لما ضاع في حياة الدُنيا من إيمان وطاعة، وعبودية، قصد الانتفاع به يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون، إلا من عمل صالحًا، وفاز فوزًا عظيما.

---

[1] ينظر: علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم، 149/1 ، 150.

[*] "المداومة": « مصدر "داوم"، وفيه معنى الاستمرار على أداء فعل معيّن، سواء كان محبوبًا أو مذمومًا». عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 156.

[**] "الإيماء":« هو كناية ما بين الإشارة والرمز، تدل على المعنى المراد دلالة مباشرة، كأنّها تومئ إليه». محمد أحمد القاسم، و محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م، ص: 250.

[***] "التعريض":« هو خلاف التصريح، وهو نوع لطيف من الكناية، يُطلق فيه الكلام مُشارًا به إلى معنى آخر يُفهم من السياق أو المقام الذي يتحدث فيه، وهذا النوع مقصور على الميل مع المعنى، وترك اللّفظ جانبًا». ابن الأثير، المثل السائر، ص: 191. و عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ، ط1، 1405هـ-1985م، ص: 222.

[2] ينظر: علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، المرجع السابق، 251/1.

وعليه فالتأكيد القَسمي الذي أتى به المُشركون، نلمسُ فيه تناقُض وعدم اتفاق، مابين الحجة والنتيجة[1].

يتركزُ في قوله: **(ما كنا مُشركين)**، فلولا طُغيانهم لما سخِط عليهم ربُّ العِزّة وأهانهم.

وتكون الفتنة هنا واقعة في القيامة: « والمقصود بالفتنة هنا "الإنكار"، والقسم جاء دالاً على جحود شركهم في الدنيا ورفضهم للدعوة المحمدية» [2]. ممَّا جعلهم في خسرانٍ مُبين.

3/ قسم الله تعالى بمخلوقاته:

أقسم الله جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه بجميع مخلوقاته، ما نُبصِرُه منها وما لا نُبصِره، وهذا دليل على وجوده و وحدانيته تعالى، ففي هذا النوع من القسم ما يهزُّ في نفسِ المرء، حيث تدفع به إلى التفكير في خالقها، والمقصود من هذا أن الله جلّ وعلا له الأحقية في أن يقسم بما شاء من خلقه، وما على الإنسان إلاّ أن يقسم بربّه الذي خلقه، ولا يجوز له أن يقسم أو يحلف بغيره، ونجد أن قَسَمَ الله بمخلوقاته جاء متنوعا كالآتي:

1/3 القسم بالمخلوق الزماني: يُعدُّ القسم بالأزمان من دلائل وحدانية الله عزّ وجل، وبديع صنعه، لما فيها من إعجاز وقدرة إلهية، ونجد فيه:

أ- **القسم باللّيل وبالنّهار**: كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴾[3].

---

[1] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 44.

[2] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1993م، 4/98،100.

[3] سورة الليل، الآيات:1 ،4.

والغرض من هذا القسم هو: التأكيد على اختلاف مساعي الناس، وكسبهم في هذه الدنيا، كما يتضمن التأكيد على اختلاف الجزاء في الآخرة واختلاف عاقبة كل إنسان عن الآخر، في ثوابه و عقابه[1].

وفي هذا القسم وجوابه تنبيه لحال الناس على ما هم عليه من أفعال وأقوال متفاوتة ومتباينة، على الاعتبار بهما(اللّيل والنّهار)، في الاستدلال[*]، على حكمة نظام هذا الكون، وبديع قدرته تعالى[2].

ومناسبة المقسم به للمقسم عليه، أنّ سعي النّاس منه ما هو خير ومنه ما هو شرّ، وهما يمثلان النور والظلمة، حيث أنّ سعي النّاس ينبثق عن نتائج، منها النافع ومنها الضّار، كما يُنتِج الذَكر ذُرية صالحة وغير صالحة[3].

فالله تعالى أقسم باللَّيل الذي جعله راحة للناس في أبدانهم و غذاءً لأرواحهم، هذا لما فيه من تزكيةٍ للنفس وتطهيرها.

فالقسم باللّيل فيه من الفضائل التي لا تُعد ولا تُحصى، فقد ذكر تعالى صفات عباد الرحمان قيامهم باللَّيل، وهنا يبيِّنُ الله عزّ وجل جانبًا من الثواب الأخروي العظيم الذي ينتظر المُستغفرين بالأسحار، والنهار الذي فيه معاش للخلق ومنه يُرزقون كالعمل والتجارة.

وفي قوله:**(إنّ سعيكم لشتَّى)**، إجمال يفيد التشويق[**]، إلى تفصيله.

---

[1] ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، ص:227.

[*] "الاستدلال": « تقرير الدليل لإثبات المدلول، أو هو عملية استخراج جواب أو نتيجة». الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1375هـ، ص: 70.

[2] ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، المرجع السابق، ص: 330. و ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 378/30.

[3] ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 550/7.

[**] "التشويق":« بعث الرغبة وإثارتها مع ميل النفس لها»، أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، دار القلم، الكويت، ط1، 1980م، ص: 260.

هذا لكون "السعي" في حقيقته هو: المشي القوي، وهو هنا مستعار "للعمل والكدِّ"[1].

و"شتّى": جمع شتيت، وهو مشتقٌ من "الشّتِ"، وهو التفرُق الشديد، وأريد به هنا التَنوُع والاختلاف في الأحوال.

وهو كناية عن الأعمال المتخالفة، لأنَّ التفَرق يلزمهُ الاختلاف، في حين أنّ الخطاب في قوله:(**إنَّ سعيكم**)، موجهٌ لجميع النّاس من مؤمنٍ و كافر[2].

والغاية الحجاجية لهذه الآيات، كونها تعمل على زيادة الاهتمام بالحسنات، وترغيب العُصاة في التوبة، فالمرادُ هنا التنبيه والتذكير[3].

ب- القسم بالعصر:

أقسم ربُّنا "بالعصر"، وفيه عدة أقاويل ومعانٍ في نظر العلماء والمفسرين منها:

أولا: المراد بالعصر: اسم للدهر، وهو العشيُّ والليل والنهار، ولم يُخصص مما شملهُ هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزِمهُ هذا الاسم داخلٌ فيما أقسم به جلَّ ثناؤه[4].

وثانيا: أن يكون المراد بالعصر أحد طرفي النهار، فالعصرة بُكرة، والعَصرُ عشية. وحجة أهل القول إنّ الله تعالى أقسم بالعصر كما أقسم بالضُحى لما فيها جميعًا من دلائل الإعجاز والقدرة وتنبيها إلى أنّ الأسواق دنا انقطاعها مع انتهاء التجارة والكسب، فهما يبدآن في أول النهار وينتهيان بآخره[5].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، 380/30.

[2] ابن عاشور، المرجع نفسه، 380/30 ،381.

[3] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 94-106.

[4] ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 563/7. و الرازي، مفاتيح الغيب، 84/32.

[5] محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم والمقسم عليه وأثره في التفسير، ص: 199.

وقد أقسم بالعصر« لكونه مشتملًا على العجائب لأنَّه يحصل فيه السراء والضراء، الصحة والسقم، وفيه الغِنى والفقر. فالعصر تنطوي تحته الساعة واليوم، الشهر والسنة»[1].

وهذا القسم جاء في مختلف أطوار العصر كدليل على عظم أهميته في حياة الإنسان.

ثالثًا: ذُكِر العصر الذي بمُضِيِه ينتقِصُ العُمر، فإذا لم يكن في مقابلته كسب، صار ذلك النقصان عن الخسران، ولذلك قال:(**لفي لخسر**)[2]، وهذه اللّفظة إنَّما هي للتهويل[*].

رابعًا: أن يكون المُراد به صلاة العصر نفسها، أقسم الله به لفضلها وهي الصلاة الوسطى[3]، كما قال تعالى:﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[4].

وفي هذا القسم"القسم بالعصر"، إشارة إلى تفخيم[**]، ورفع شأن هذه الكلمة، التي جاءت بمعانٍ مختلفة، فجميعها مراحل تمُسُ أطوار الإنسان، كونها حجة ودليل على عِظم أهميته في الحياة[5].

---

[1] الرازي ، مفاتيح الغيب، 84/32.

[2] ينظر: الرازي، المرجع نفسه، 85/32.

[*]" التهويل": « مصدر هَوَلَ، وهو المبالغة في تفظيع وتشنيع الفعل، يهدف إلى بَثِّ الإهانة لدى فاعله». أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، ص: 111.

[3] ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 564/7.

[4] سورة البقرة، الآية: 238.

[**] "التفخيم":« وهو من فخَّمهُ، والتفخيم التعظيم، وفخمُ الكلام عظمهُ».السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 53.

[5] ينظر: خالد سيف الدسيقي، القسم في القرآن الكريم، رسالة لنيل درجة الماجستير، إشراف: عبد المنعم القيعى، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع الكتاب والسنة، 1403هـ-1983م، ص:491.

وتضمنت هذه الآية على استثناء الله تعالى جنس من الإنسان، عن الخسران في قوله:**(إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)**، فاستثنى الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم[1].

إذن فالقسم من هذا النوع فيه تحفيزٌ وتحذيرٌ. فالأول: يهدف إلى الإسراع في استغلال الوقت بالطاعات. والثاني: يهدف إلى تحذيرٌ من التكاسل والندم بعد فوات الأوان.

فالله تعالى يُجازي كل نفسٍ بما كسبت، فمن عمل فلنفسه ومن أساء فعليها.

والبعد الحجاجي هنا تمثل في التحذير لكل من خالف المولى تعالى، فالله قويٌ ذو انتقام[2].

جـ- القسم بالفجر: يقول تعالى:﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ ﴾[3].

أقسم ربُنا جل ذِكره، في هذه الآية "بالفجر"، دلالةً على التعظيم والتشريف، لكل ما خَلَق، دون تخصِيصه لزمن معيّن، والمراد هنا إمَّا: "فجر الصبح" أو "صلاة الفجر"[4].

والمقصود« من هذا القسم تحقيق المقسم عليه، لأنّ القسم في الكلام من طُرق تأكيد الخبر، إذ الخبر إشهاد المقسم ربّه على ما تضمنه كلامه، وقسم الله تعالى متمحِضٌ لقصد التأكيد» [5]، وأقسم الله بهذه الأزمان لما فيها من عظمةٍ عنده.

---

[1] خالد سيف الدسيقي، القسم في القرآن الكريم، ص: 491.

[2] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص:87.

[3] سورة الفجر، الآية: 1 ،3.

[4] ينظر: خالد سيف الدسيقي، المرجع نفسه، ص: 431.

[5] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 312/30.

وقال بعضهم:« "الشفع هو يوم النحر، والوتر هو يوم عرفة". وقال آخرون:"الشفع يومان بعد يوم النحر، والوتر اليوم الثالث".وقال أخرون:"الشفع الخلق كله، والوتر هو الله"» [1].

واعلم أن هذه الأشياء التي أقسم بها الله تعالى لابُد وأن يكون فيها إما فائدة دينية مثل كونها دلائل باهرة على التوحيد، أو فائدة دنيوية توجِبُ الشكر [2].

واشتملت هذه السورة على آياتٍ محكمات، فيها تقابل بين الابتلاء بالقوة وبالغِنى، أو بالفقر والحرمان، وما يتبعُهما من إكرامٍ أو إهانة، ثُم التقابُل في المصير مابين عذابِ الطاغِين المغرورين، وما بين نعيم النفس المطمئنة[3]، و يكمنُ الهدف الجوهري للآيات في الإقناع[*]، وذلك بالتأثير في المتلقي أو االسامع.

ونجد أنّ التنبيه تمثل في قوله تعالى:**(واللَّيل إذا يسر)**، وعليه فالبعد الحجاجي لهذه الآيات تمثل في الاستدلال و إعمال الفكر، والمقصود هنا دفعُهم على استعمال العقل في تأمل هذه الآيات و تدبُر معانيها[4].

2/3 القسم بالمخلوق المكاني:

أ- **القسم بالبلد:** يقول تعالى:﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾[5].

---

[1] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن،514/7.

[2] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب،162/31.

[3] ينظر: خالد سيف الدسيقي، القسم في القرآن الكريم، ص: 431.

[*] "الإقناع": « الهدف منه التأثير في السامع، ومحاولة جذبِه و استمالته قصد تغيير رأيِه بخصوص موضوعٍ ما». محمد عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص: 160.

[4] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 187.

[5] سورة البلد، الآية:1 ،3.

نزلت هذه السورة تثبيتًا لقلب النبيِّ الكريم، من كيد المشركين المحاربين للدِّين الإسلامي[1].

والغرض من هذه السورة هو: التنويه[*]، بمكة وبمقام النّبي –عليه السَّلام–، وبَركتِه فيها وعلى أهلها، كما تضمنت غرض آخر بين طياتهَ وهو عما يكابده من شدائد ومشاق في دعوته –عليه السّلَام– [2].

ابتدأت هذه السورة بالقسم، تشويقًا، لما يردُ بعدهَ، وأُطيلت جملة القسم زيادةً في التشويق، وقد أقسم الله جلّ وعلا في هذه السورة بأمور أربعة وهي:« "البلد، حِلٌ النّبي بهذا البلد، وبالوالد، والولد"»، فسبحانه أقسم بالبلد الحرام وهي "مكة المُكرمة" [3].

ومناسبة استهلال القسم "بمكة"، فيه إيماء، وإشعارُ بحرمتها، وجملة: **(وأنت حلٌ بهذا البلد)**، تفيد تعظيم وتفخيم المقسم به[4].

وجاء القسم في هذه الآيات تأكيدًا على حال الإنسان الذي خُلِقَ في كبدٍ وتعبٍ وعناءٍ شديدين، حيث أنّ البعد الحجاجي هنا تمثل بدايةً في: التنبيه و التكرير[**]، للتذكير، ونهايةً بالترهيب "التخويف"، والتحذير من يوم الحساب[5].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 345/30.

[*] "التنويه": «هو الإشادة بالشيء على وجهٍ حسن، وبصورة مشرفَة». ابن الأثير، المثل السائر، 165/2.

[2] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 346/30. و محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، ص: 316.

[3] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،522/7. و ابن عاشور، المرجع السابق، 346/30.

[4] ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، المرجع السابق، ص: 315.

[**] التكرير": « مصدر"كرّرَ"، ويأتي تأكيدًا للكلام وتشييدًا له، قصد تحقيق الغاية المقصودة». ابن الأثير، المرجع السابق، 160/2.

[5] ينظر قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 211.

وأقسم بالنَّبِي محمد –عليه السَّلام–، ومقتضى التناسب بين الأقسام أن يكون المُراد بالوالد والولد إبراهيم وابنه إسماعيل –عليهم أفضل الصلاة وأزكى السَّلام–، كونهما من بَنَيا البيت الحرام، وهناك من يرى أنَّه أقسم بآدم وذُرِيَتُه، أي ما تناسل منه من الولد [1].

فالقسم واضح، لأنَّ البيت أطهرُ مكانٍ على الإطلاق، وهو مركز للتوحيد ولعبادة الله سبحانه. كما أنه مطاف أنبياء الله وأوليائه، وهو أشرف بيوت الله، ويزيد على شرفه أنّ النبيّ الكريم قاطنُ هذا البلد ونزيلُه فزاده الله شرفًا على شرف [2].

أقسم الله بمكة، وهو يُخاطب رسوله الكريم، أنّه بعد خلق السماوات والأرض أحلّ الله أرض مكة لنبيِّه محمد عليه السلام، وحرمها على الكُفار [3].

ب– القسم بالتين والزيتون: يقول تعالى:﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾[4].

أقسم الله في هذه السورة، قسمًا متتابعًا دالاً على التأكيد والإثبات، والإطالة في القسم فيه تشويق للمقسم عليه[5].

وقد احتوت هذه السورة على التنبيه، بأن الله خلق الإنسان على الفطرة المستقيمة، فابتداء الكلام بالقسم المؤكد دليل على أهمية الغرض المسوق له الكلام، حيث أقسم سبحانه بهاتين الثمرتين وبِمنبَتَيهِمَا من الأرض المباركة [6].

"فالتّين" إيماء إلى المنبت والمكان الذي وُلد وبُعِث ونشأ فيه عيسى المسيح–عليه السلَّام–، والمقصود هنا أرض الشام المباركة، فهي بِقاع حَوت أكابر الرُّسُلِ–صلوات الله

---

[1] ينظر: مركز تفسير للدراسات القرآنية، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مؤسسة الشيخ عبد الله بن زيد الخيرية، الرياض، المملكة العربية السعودية ط2، 1435هـ–2014م، ص: 594.

[2] ينظر: الألوسي، روح المعاني، 133/30.

[3] ينظر: الألوسي، المرجع نفسه، ص: 134/30.

[4] سورة التين، الآية: 1 ،3.

[5] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 319/30 ،320.

[6] ينظر: ابن عاشور، المرجع نفسه، 420/30.

عليهم–، و"الزيتون" إيماء لإبراهيم الخليل كونه بنى المسجد الأقصى، و"الطور" هو المكان المبارك الذي كلّم الله فيه نبيّه موسى–عليه السَّلام–، وهو إيماء لشريعة التوراة.

وحجتهم أنّ الله ختم تلك الأماكن التي أقسم بها بقوله: **(وهذا البلد الأمين)**، وهو إيماء إلى مهبط شريعة الإسلام[1]، وهي "مكة" لأنّها مكان خاتم الأنبياء والرسل[2].

والمراد من المقسم به هنا التمثيل وإشارة إلى أطوار الشرائع الأربعة، تلميحاً إلى أنّ الإسلام جاء مصدقًا لها وتنويهًا إلى حسن جزاء متَّبعي هذا الدّين الحنيف.

كما وتشير إلى وقائع دنيوية، كونها أقرب إلى أذهانهم، وأوقع في نفوسهم وعلى هذا كثر في القرآن التذكير بذكر البلاد، يقول تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾[3].

فالله تبارك وتعالى يقسم بكل ما هو معظم، وهذا ليبُثَ قدرته في وجوه أعداء الإسلام، ويخبرهم بأن يتأملوا في ملكوته وأن يأتوه طوعًا لا كرهًا، والبعد الحجاجي هنا التمثيل بالثمار والأماكن قصد الاستشهاد بمن كان فيها.

جـ- القسم بالطور: يقول تعالى:﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾[4].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 422/30. والألوسي، روح المعاني، 173/30.

[2] ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، وأثره في التفسير، ص: 342.

[3] سورة الأعراف، الآية: 101.

[4] سورة الطور، الآيات: 1 ،8.

الغرض من هذه السورة هو: التهديد بتحقيق وقوع العذاب يوم القيامة، للمشركين والمكذبين للنّبِي –عليه السَّلام–، فيما جاء به من إثبات البعث وتهويل عذاب يوم القيامة[1]، كما أنَّهم جعلوا لله أندادًا وآلهةً أخرى يعبُدونها، بالإضافة إلى استهزائهم بالوعيد.

أقسم الله "بالطور" وقد ذكرنا معناه في سورة التين،« وأقسم بكتاب مسطور، وهو التوراة في صحف منشورة، وبالبيت المعمور، وهو بيت في السماء السابعة، وقيل ما هو معمور في السماء من الملائكة الكرام، الذِّين يطوفون دائمًا به، وبالسقف المرفوع، وقيل هو العرش أو السماء الدنيا، وأقسم بالبحر المسجور، وفيه آراء: أنه المملوء بالمياه، أو المحبوس، أو الموقد نارًا»[2].

وقوله إنَّ عذاب ربِّك–أيُّها الرَسُول– بالكفار لواقع، ليس له رادع أو مانع يمنعه حين وقوعه، وجملة: **(ماله من دافع)**، جاءت مُذيّلة "التذييل"[*]، تفيد التوكيد لما فيه من إشارة إلى التحذير والترهيب لهؤلاء الكفرة الفجرة[3].

والبُعد الحجاجي تمثل في: التحذير وتقريع الكافرين وأنّ العذاب نازلٌ لا محالة[4].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 36/27. و محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه وأثرهُ في التفسير، ص: 245.

[2] نخبة من علماء التفسير، إشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، التفسير الميسر، مكتبة فهد الوطنية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1430هـ–2009م، ص: 523.

[*] "التذييل": « هو أن يُؤتى بجملة عقِب جملة، والثانية تشمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقرَّر عند من لم يفهمه» .السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط5، 2002م ، 869/3.

[3] ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1425هـ–1985م، ص:147.

[4] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 162.

3/3 القسم بالمخلوق الكوني:(الرياح)[*].

أ- **القسم بالمرسلات:** في قوله تعالى:﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ ﴾[1].

المقصود من هذا القسم تأكيد الخبر، وفي تطويل القسم تشويق السامع لتلقي المقسم عليه، ويجوز أن يكون المراد بموصوفات هذه الصفات نوعا واحدا، ويجوز أن يكون نوعين أو أكثر من هذه المخلوقات العظيمة، وأقسم سبحانه وتعالى برياح العذاب، يعني إذا أريد بالمرسلات رياح العذاب، فالعصف حقيقة، وإذا أريد بالمرسلات وصف الملائكة، فالعصف تشبيه لنزولهم في سرعة بشدّة الريح. والأرجح أن المرسلات والعاصفات صِفتَانِ للرياح[2].

واشتملت هذه السورة على الاستدلال على وقوع البعث، عُقبَ فناء الدنيا، و وصف أشراط ذلك، والاستدلال يظهر في إعادة إمكان خلق الإنسان، وخلق الأرض، و وعيد مُنكريهِ بعذاب الآخرة، و وصفِ أهواله[3].

والبعد الحجاجي لهذه الآيات تمثل في التذكير و التأمل، في خلق هذا الكون، ودفع الإنسان إلى التدبُر و الإسترشاد[**]، العقلي والنفسي.

---

[*] وقد ورد ذكر "الرياح" أيضًا في سورة الذاريات، الآيات: [1 ،4].

[1] سورة المرسلات، الآية:1 ،3.

[2] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،420/29 ،421.

[3] ينظر: ابن عاشور، المرجع نفسه، 418/29.

[**] الاسترشاد": « من الرشد، وهو الطلب الذي لا إلزام فيه، وإنّما يحصل بين طياته، النصيحة الخالصة». ابن عاشور، المرجع نفسه، 423/29.

4/3 القسم بالمخلوق الروحي(الملائكة)[*].

أ- **القسم بالنازعات:** في قوله تعالى:﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾[1].

وتسمى السورة «"بالساهرة" عند الخفاجي، وسميّت كذلك "بالطامة"، لوقوع لفظ الطامة فيها، ولم يقع في غيرها، واشتملت على إثبات البعث والجزاء، وإبطال قول المشركين بتعذر الإحياء بعد انعدام الأرواح. وابتدأت بالقسم بمخلوقات ذات صفات عظيمة وفي هذا القسم تهويل للمقسم به، وإنّ هذه الصفات لموصوفات من نوع واحد يجوز تمييزها من صفاتها، فهناك مثلا ملائكة وُكِّلَت بنزع أرواح الكفار شَرَّ نزعة، وأخرى تسلّ أرواح المؤمنين برفق وأخرى تنزل مسرعة لتنفيذ ما أمرت به. والله سبحانه لا يقسم عن الهوى» [2].

واحتوت هذه الآيات على تهديد وإنذار شديدين، للمشركين، بسبب إصرارهم على الكفر، ومحاولةً منهم دَحض الحق بالباطل، مما جعلهم في الأخير في حالةِ تفجُع، لهول ما رأوا من العقاب الموعود.

والبعد الحجاجي لهذه الآيات تَمثّل في: التيئيس[**]، والتحقير، نتيجةً لتعنُّت القوم الفاسقين وظلمهم لأنفُسهم[3].

---

[*] وقد ورد ذكر "الملائكة الكِرام"، في سورة الصافات، الآيات: [1 ،3].

[1] سورة النازعات، الآية:1 ،3.

[2] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 61،60/30.

[**] التيئيس":« وهو أبلغ من اليأس، كون التيئيس يأتي بعد فوات الوقت والأوان، مما لا ينفع صاحِبه حينها». أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، ص: 118.

[3] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 106.

5/3 القسم بالأجرام السماوية:

أ- **القسم بالسماء**(*): يقول تعالى:﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ﴾[1].

جاء القسم في هذه الآية للتأكيد على تخبط رأي المشركين حول النبيِّ عليه السلام، فتارةً يقولون أنَّه مجنون، وتارةً يقولُون أنَّه أمين، وتارةً أخرى يُكذبُونه، فقد اضطربت أقوالهم اتجاه النبيِّ المصطفى، هذا لكونه عليه السلام قد أعجزهم بالقرآن الذي استحال على أي بشر أن يأتي بمثله، كيف لا وهو المعجزة من عند الله تبارك وتعالى.

والقسم زاد من تأكيد اضطرابهم، وهذا ما يثبِتُه تناقض كلامهم حول محمد عليه السلام، وكل ما جاء به إذ حاولوا أن يردوه لكن الله أراد لنورِه أن يُتِمَ وينتشِرَ في الأرض[2].

والمقصود في قوله: **(إنكم لفي قولٍ مختلفٍ)** كناية عن الاختلاف وهو التردد في الاعتقاد، فهم في حيرة واختلاطٍ في رأيهم، حول ما أتاهم به سيِّد الخلق محمد -صلى الله عليه وسلَّم- ، كاختلافهم في بناء السماء، التي لا يُعرف أولها من آخرها، فهي آية من آيات الله العُجَاب[3].

والمراد من هذا القسم في هذه الآيات الكريمة، هو التأكيد والإثبات، على حقيقة حلول العذاب بالمكذبين بالنبيِّ الكريم، وأنّ قسم الله واقع لا محالة[4]. كما نجدها متضمنة لأغراض أخرى، مثل: الجزاء والوعيد لهؤلاء الكفرة الفجرة، ويتمثل في الآيات اللاحقة في

(*) ورد قسم الله بـ"السماء"، في خمسة مواضع في القرآن الكريم، مرتبتًا حسب المصحف، وهي: [الذاريات: 7، والبروج: 1، و الطارق: 1 و 11، و الشمس: 5].

(1) سورة الذاريات، الآية:7 ،8.

(2) ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم والمقسم عليه وأثره في التفسير، ص:225.

(3) ينظر: خالد سيف الدسيقي، القسم في القرآن الكريم، ص: 484.

(4) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن،109/7.

قوله تعالى:﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ﴾[1].

والبعد الحجاجي تمثل في: التأمل والتفكر في الإعجاز الكوني، لما فيه من إشارة إلى التعجيز[*]، لدى الكفار على أن يأتوا بمثله.

ب- القسم بالنجم: يقول تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾[2].

أقسم تعالى بالثريا، وغَلُبَ عليها التسمية بالنجم. وقيل أنه جِنسُ النجوم، والمراد بالنجم نجوم السماء، وعليه فهو من إطلاق المفرد وإرادة الجمع[3].

وعند "ابن عاشور": «النجم هو الكوكب أيْ الجرم الذي يبدو للناظرين لامعًا في جوِ السماء ليلاً»[4].

وجملة: **(ما ضل صاحبكم وما غوى)** وقعت جواب القسم. « فالخطاب موجه إلى قريش، وصاحبكم هو "محمد عليه السَّلام"، فقد نفى عنه تعالى الضلال والغي، والفرق بينهما أنّ الضلال بغير قصدٍ والغي بقصدٍ وتكسبٍ»[5].

---

[1] سورة الذاريات، الآيات: 9 ،13.

[*] "التعجيز": « طلب الفعل على أساس إظهار عجز المخاطب، وذلك بتنفيذه لأنّه فوق إرادته ، و أعلى من مقدوره، والغرض منه إما الإهانة أو السخرية». أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، ص: 113.

[2] سورة النجم، الآية: 1 ،2.

[3] أبو القاسم الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم الهاشم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1992م، 380/2.

[4] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 88/27.

[5] أبو القاسم الكلبي، المرجع السابق، 380/2.

وقسم الله تعالى على مختلف مخلوقاته «دالٌ على عظيم صفات الله وعلى سعة قدرته الجبارة، فهذه السورة وبالأخص آياتها الأوائل التي تحمل كلام مُوجه من الله عزّ وجلّ إلى المشركين الطاعنين في رسالة محمد عليه الصلاة والسلام» [1].

وتقيد القسم بالنجم في وقت غروبه، ذلك المخلوق العظيم بعد أن كان في أوجِ شرفِ الارتفاع في الأفق، على أنه تسخير لقدرة الله تعالى، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام:﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[2].

وهنا نجدُ أن :«الله سبحانه وتعالى يُظهر لنا إبداع خلقه وقدرته الكونية في تسيير الأمور التي يستحيل على ابن آدم أن يأتي أو يصنع مثلها» [3].

ومناسبة القسم بالنجم إذا هوى، أن الكلام مُسوق لإثبات أن القرآن وحيٌ من الله، مُنزَّلٌ من السماء، فشابه حال نزوله نُزول نجم من أعلى الأفق إلى أسفله، وهو تمثيل المعقول بالمحسوس، أو الإشارة إلى مشابهة حال نزول جبريل –عليه السَّلام– من السماوات، بحالة نزول النجم من أعلى مكانه إلى أسفله [4].

والبعد الحجاجي هنا يكمن في التمثيل، فقد شابه بين النجم و القرآن[5]، من حيث سطوع الأول في السماء، و إنارة القرآن لصدور المسلمين، في حين أنّ في أفول النجم وسقوطه تشبيه لبعد القرآن عن القلوب المريضة الكافرة.

---

[1] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 89/27.

[2] سورة الأنعام، الآية: 76.

[3] ابن عاشور، المرجع نفسه، 90/27.

[4] ينظر: ابن عاشور، المرجع نفسه،92/27. و الألوسي، روح المعاني،45،44/27.

[5] ينظر: خالد سيف الدسيقي، القسم في القرآن الكريم، ص: 491.

جـ- القسم بالطارق: يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾[1].

الغرض من هذه السورة هو: إثبات إحصاء الأعمال، هذا لما فيه من تذكير في قدرة الله تعالى[2]، وتمثل البعد الحجاجي في تعظيم التهويل يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنُون.

في هذه السورة أقسم الله سبحانه بشيئين من مخلوقاته وهما:"السماء والطارق".

فالسماء: هي سماء الدُنيا التي نعرفها وهي كل ما سما وعلا حِسًا كان أو معنًى فالحِسُ يتمثل في السحب، فالسحاب في العربية يُطلق عليه سماء.

ونقصِد بالمعنى جانب الأخلاق، فيقال: السمو والرفعة أو المقام المرتفع[3].

وأما الطارق: فهو النجم، سُميَّ بذلك لأنه يطرق، بمعنى يطلعُ ليلاً من النجُوم المُضيئة، و يختفي نهارًا، وكل ما جاء ليلاً فقد طَرَقَ[4].

وجملة:**(وما أدراك ما الطارق)** جاءت على صيغة استفهام، يُراد به تفخيم شأن هذا النجم، وعليه فالله تعالى يقول لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلَّم–: وما أشعرك يا محمد ما الطارقُ الذي أقسمتُ به، ثم بين ذلك جل ثناؤه فقال: **(النجم الثاقب)** بمعنى يتوهج ضياؤه ويتوقد. فالله يقدم لنا آيات وعِبَر من أجل أن يزيل غِشَاء الشك لدى كل مشرك، وأن يملأ قلبه باليقين على أنّ هناك إلهًا واحدًا في هذا الكون هو الله الواحد القهار[5].

---

[1] سورة الطارق، الآية: 1 ،2.

[2] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 30/258–261. و قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 157.

[3] ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،499/27.

[4] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 1423هـ–2003م،3877/5.

[5] ينظر: الطبري، المرجع السابق، 499/27.

د- القسم بالشمس وبالقمر: يقول تعالى:﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[1].

الغرض من هذه السورة تثريب الكفار وتهديدهم، حيث افتُتِحت هذه السورة بأكثر من قسم، وجاء هذا القسم لتأكيد الخبر، والمقصود بالتأكيد هو ما في سوقِ الخبر من التعريض بالترهيب و الوعيد بالاستئصال[2].

واستهلَت بالشمس لما فيه من إيماء للتنويه بالإسلام فهديُهُ كنورِ الشمس، لا يترك للضلال مسلكًا، و اتُّبع بالقمر لأنَّه يُنيرُ في الظلام.

وهذه الأقسام جاءت متسلسلة، دليل على قدرته تعالى، فالمقصود من هذه السورة هو الترغيب في الطاعات والزجر والنهيُ عن المعاصي والآثام[3].

والمقصود بالشمس وضحاها:« هو ضوءها إذا أشرقت، وقام سُلطانها، ولذلك قيل وقت الضحى، وقيل: الضَحْوَة ارتفاع النَهار، والضُحَى فوق ذلك، والضَحَاء بالفتح والمد: إذا امتد النهار وقرُب أن ينتصف» [4].

وجاء هذا القسم ليبيِّن لنا مدى أهمية هذا الجُرم، هذا الكوكب الذي لا نتخيّل الحياة دونه، فقد أقسم بالشمس وضحاها لكثرة ما تعلق بها من المصالح فإن الناس كانوا كالأموات في اللّيل، فلما ظهر أثرُ الصبح [...] صار كالصور الذي يَنفخ قوة الحياة،

---

[1] سورة الشمس، الآية:1 ،2.

[2] ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 366/30.

[3] ينظر: خالد سيف القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، ص: 323.

[4] الزمخشري، الكشاف، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430-2009م، ص: 120.

فصارت الأموات أحياء، ولا تزال تلك الحياة في الازدياد والقوة والتكامل، حيث إن غابت الشمس وغرُبت، فإذا بالقمر يتبعُها في الإضاءة[1].

والبعد الحجاجي هو التصديق بالرسالات السماوية، والنّهي عن اتِّخاذ آلهةً دون الله تعالى.

6/3 القسم بيوم القيامة: يقول تعالى:﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾[2].

الغرض من هذه السورة هو، التذكير بيوم البعث وأهواله، أقسم الله بيوم القيامة وهو يوم الدّين والجزاء، والحساب على الأعمال، وهذا اليوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ولا أهل، إلاّ العمل الصالح إن أعدَدتَهُ، فمن روَّضَ نفسه على الفلاح نجا وسار في سفينة النجاة، وأما من أهان نفسه وملأها معاصي، فلينتظر عقابه من المولى عزّ وجل[3].

فقوله: **(لا أقسم)**، معناه "أقسم" و"لا" زائدة لتأكيد القسم، وقيل هي نفي لكلام الكفار **(بالنّفس اللّوامة)**، التي تلوم نفسها على فعل الذنوب، أو التقصير في الطاعات، فالنفوس على ثلاثة أنواع: أفضلها النفس المطمئنة، وأسوأها النفس الأمارة بالسوء، وبينهما النفس اللوامة. وقيل هي المذمومة الفاجرة[4].

وعليه فالله سبحانه وتعالى لا يقسم إلّا بما يعظم من مخلوقاته التي خلقها، منها ما سخره للإنسان ليستفيد منه، ومنه من أعلمنا به، لكن جعله لنفسه فسبحان من خلق فأحسن وأبدع فأبهر.

---

[1] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب،190/31.

[2] سورة القيامة، الآية: 1 ،2.

[3] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 337/29، 338.

[4] أبو القاسم الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ص: 512.

والبعد الحجاجي نلمسه في التعظيم ليوم القيامة، والتحذير من النفس اللّوامة، التي لا تنفع صاحبها في ذلك اليوم الموعود.

4/ قسم الله عزّ وجل بذاته:

إنّ آيات قسم الله عزّ وجل بنفسه تحمل في ثناياها دلالات وإشارات متشابهة، بحيث أن لها معنى ومضمون واحد، وهو أن الله لا يظلم عباده ولو مثقال ذرة، وأنّه تعالى قبل أن يَحِلَ غضبه على أيِّ أمة يرسل لهم رسولاً منهم، ليدعوهم إلى توحيد الواحد القهار، بطرق ووسائل شتى، فلكل نبيّ معجزة، يُخاطب بها قومه بما يفقهوه، وكانت آخر معجزة في هذا الكون معجزة القرآن مع سيّد الخلق والأنام محمد–صلىّ الله عليه وسلم– ، وعليه قد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع هي[1]:

1– ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[2].

2– ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[3].

3– ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾[4].

4– ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[5].

---

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1945/5.

[2] سورة يونس، الآية: 53.

[3] سورة التغابن، الآية:7.

[4] سورة مريم، الآية: 68.

[5] سورة الحجر، الآية: 92.

5- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

6- ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

7- ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

5/ قسم إبليس بالله جلّ جلالُه

أ- القسم بعزة الله تعالى (بعزتك):

في قوله تعالى:﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[4] .

جاء هذا القسم على لسان إبليس- اللّعين- فيما ورد من قصة آدم عليه السلام، بعد أن خلقه الله ونَفخَ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجُود له، ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[5].

فبعد أن عصى ربّه، أخرجه من جنَّته وطرده من رحمته، ومع وَقْعِ هذا القول على إبليس، ما كان منه إلَّا أنْ يتوعَد بني آدم، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[6].

---

[1] سورة النساء، الآية: 65.

[2] سورة المعارج، الآية: 40.

[3] سورة الذاريات، الآية: 23.

[4] سورة ص، الآية: 82،83

[5] سورة ص، الآية: 73 ،74.

[6] سورة ص، 82،83.

وما أقسم إبليس بعزّة الله، "العِزَّة" –هي القهر والسلطان، وعِزَّة الله هي العِزَّة الكاملة، التي لا تَختلُ حَقِيقَتُها ولا يختلف سُلطانها–، إلَّا لأنَّه وجد في نفسه أن الله أقدره على القيام بالإغواء والوسوسة[1].

فإبليس –لعنة الله عليه–، ظلم نفسه مرتين، الأولى: أنَّه لم يسجد لآدم كما أمره عزّ وجل. والثانية: في كونه تطاول على الله عندما أقسم بعِزّته تعالى.

وهنا نلمس تحدِّيَهُ لخالقه في تصريف أمور عباده وذلك بزعزعة قُلوبهم وبَثِّ الوسواس فيها، ومحاولة زَرع الشك في صدر وقلب المُؤمن.

فبعد تحديد إبليس هدفه المتمثل في إعلان الرغبة، في الأخذ بالثأر فيمن كان سببًا في لعنتِه، والمقصود هنا "آدم عليه السلام"، و هنا تُصبِح حُجة إبليس حُجة سبَبِية، قائمة على سبَب و نتيجة، بمعنى أنّ عدم السجود لآدم عليه السلام، جعله بالضرورة مطرودًا من الجنة. وهذه النتيجة اليقينية جاءت مُصاحبةً لعذَابٍ ينتظره، من الله عزّ و جل، فقد حق قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[2].

وفي الآية نجد أن إبليس –اللَّعين– حينما أقسم بِعِزّة الله تعالى، قد وقف موقِف الخائب العاجِز، وتجلى هذا في موقفين، الأول: فبِعِزّتك (أقسم بالله)، فلو كانت له عِزّة أو قُوة لأظهرها و أقسم بنفسِه، وهنا علِم عدوُ الله أنّهُ ذليل النفس، حقير.

والثاني: تمثل في قوله: ﴿ **إلا عبادك منهم المخلصين**﴾هنا استثنى إبليس–اللّعين– فِئة جُبِلت على الوفاء، واستمر القرآن بِذِكرهم في كُل النُصوص، وهم عباد الله المُخلصين.

---

[1] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 306/23.

[2] سورة المائدة، الآية: 2.

بمعنى لو كان له سُلطان أو قدرة ولو مثقال ذَرّة، لاستطاع السيطرة على عُقولهم، وهنا اعتراف صريح من قِبل إبليس، عن ضُعفهِ وكونه مغلُوب وجاء هذا تحقِيقًا وإثباتًا لقوله تعالى:﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[1].

وقد ردّ عليه تعالى بقوله:﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2].

وفي هذه الآية قُوة باطنية تمثلت في حِجاج السُلطة، وذلك باعتماد بعض من آلياته كالتهديد الشديد، و الزَّجرِ العظيم[3]، لكل مشركٍ وعاصٍ لله جلّ ثناؤُه.

ولفظة **(لأملأن)**، جاءت مؤكدة بمُؤكدين هما: (اللّام، ونون التوكيد الثقيلة)، والحجة من هذه الزيادة، هي الاهتمام بالخبر و تأكيده، نظرًا لأهميته.

وكما تكمنُ في إبراز عظمة وقُوة الخالق، وإثبات عجز الملعون، والتابعين له، والبعد الحجاجي هنا تمثل في الذّم العظيم والتحقير الشديد، الذي يحمِلُ في طياتِه الإهانة و التوبيخ.

وتجدُرُ الإشارة هنا أن ما حصل مع إبليس –اللّعين– جاء مُتسلسلًا ومُرتبًا، وهنا تحققت العلاقة السبَبية، والتي تجعل من بعض الأحداث أسبابًا لأحداث أخرى، وبمعنى آخر تجعل من موقف مُعيّن سَببًا مباشِرًا لموقفٍ لاحق[4]، فهذه السورة وبالأخص آياتها [من 75إلى85]، تعددت فيها المواقف والأحداث، والتي تمثلت في:

---

[1] سورة النساء، الآية: 76.

[2] سورة ص، الآية: 85.

[3] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 45.

[4] قدور عمران، المرجع نفسه، ص: 44.

1- الحوار: وهو ما دار من كلام بين الله عزّ وجل وإبليس-اللّعين-.

2- الطرد: تمثل في تجبُر إبليس على العزيز القهار، أي على خالقه تعالى،مما أدى في الأخير إلى طرده والسخطِ عليه.

3- القسم: وجاء بعد خُسرانه، فقد طُرد وأخرج من الجنّة وحُرِمَ من رحمة الله، وهنا جاء إصرارُه على الانتقام، من بني آدم، وأقسمَ بِعِزّة الله على إغوائهم.

4- الوعد والعقاب: وهو نتيجة لتكبُر إبليس لعنة الله عليه،على الله جلّ ثناؤُه، وتأكيده تعالى،على ملء جهنّم من أمثالِ الملعوُن ومِمن تبِعهُ.

وهذه المراحل أو المواقف الأربع ابتُدأت بتبادُل أطراف الحديث، المُتمثل في الحِوار، إلّا أن هذا اللّعين-إبليس-، وقف ندًا لربِّه وفجَر وخرج عن طاعته، هذا لِمَا في قلبه من ضغينة وحقد لبنِي آدم، أدى في الأخير إلى جعله مذمومًا مدحورا في الحياة الدنيا، أما في الآخرة فهو من الغابرين الخاسرين فقد خسِر الدارين بسبَبِ نزعةٍ في نفسه، ألا وهي: "التكبُر".

ب- القسم بالإغواء:

يقول تعالى:﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦﴾[1].

وقد قيل أنّ (الباء)، للقسم وقيل أيضًا أنّها للسبب يعني سبَبِية، وفعل القسم محذوف تقديره (فبما أغويتني أُقسِمُ بالله لأقعُدن)، أي: بسَبب إغوائك إيّاي أُقسم.

كما يجوز أن تكون (الباء)، للقسم أي: فأقسم بإغوائك لأقعُدن[2].وجاءت تأكيدًا على إقراره وثباته لفعل القعود.

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 16.

[2] ينظر: أبو حيان الأندلُسي، تفسير البحر المحيط، 275/4.

وكذلك اللاّم في (لأقعُدن)، فلام القسم: ارتبطت بنون التوكيد الثقيلة، قصد تأكيد حصول ذلك وتحقيق العزم عليه[1].

يقول الزمخشري: « وإنَّما أقسَم بالإغواء لأنه تكليفٌ من أحسن أفعَال الله، لكونه تعريضًا لسعادة الأبد، فكان جديرًا أن يُقسم به»[2].

ومعنى هذا: أنّ لإبليس اللّعين القُدرة على الإغواء (الضلال)، والوسوسة وأكدهُ قوله:﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[3].

يعني أنه يتربَصُ لبني آدم من الجِهات الأربع، والمقصود هنا:(من بين أيديهم)، أشَكِّكَهُم فيها وأنَّه لا بَعث، و(من خلفهم)، الدُنيا أرغِبُهم فيها وأزيِّنُها لهم، و(عن أيمانهم)، يعني الحق والحسنات، و(عن شمائلهم)، يعني الباطل والسيئات[4].

فهذه الآية توضح لنا أن إبليس –اللّعين– يستغِل أي فُرصة بل و يخلق الفُرص، ليُوقِع بالإنسان، وذلك بتزيِن المعاصي في قلبه، حتى تبلُغ به درجة التشَبُثِ بالإثم ويُصاحبها كبرياء عن الحق.

وهذا هو عين ما وقع فيه إبليس لعنة الله عليه، عندما أمِرَ بالسُجود فأبى واستكبَر، فهو يعمل جاهدًا على إغوائهم، لأنه يرى سبَبَ فسادهِ بِسببَِهم [5].

ونرى اهتمام إبليس الزائد المُنصب حول ابن آدم، الذي ليس من وراءه سوى الهلاك والذَّم والخُسران، و من هذا فالبُعد الحجاجي تمثل في تأكيد، الخِزيُ وذُلِّ النفس

---

[1] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 46/8.

[2] الزمخشري، الكشاف، 358/2.

[3] سورة الأعراف، الآية: 17.

[4] ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 277/4.

[5] ينظر: علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم، ص: 370.

الذي يُؤدي بالضرورة إلى الإهانة والتصغير لبنِي آدم من طرف إبليس –لعنة الله عليه–، وزيدَ عنها حُلُول غضب الله على هؤلاء المشركين.

ونستنتج مما سبق أن: هذا التأكيد الصادر من إبليس–اللّعين– والذي تطرقنا إليه من خلال هذه السورِ، فنجده يُعبر عن مدى حقده وبُغضِه الشديدَين، لآدم عليه السلام وذُريتُه، كما تتجسدُ قُوة إصراره على الانتقام وذلك بِصَدِهم عن سبيل الله تعالى، فهذه الوسائل المؤكدة جرَت على لسانه في هذا الموقف، تُوضِح قَدر ما بلغَهُ من الحسد والكراهية والعداوة، لاسيما وأنَّهُ يرى أن سبب طرده من الجنة هو آدم عليه السلام[1].

6/ القسم بالقرآن الكريم:

أ- **يقول تعالى:** ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ [2].

الغرض من هذا القسم هو إثبات رسالة النّبي المصطفى، وأنّه أُرسِل ليوقِظ النّاس من غفلتهم وشركهم بالله[3]، وتهديدهم بعذابٍ وابتلاء من عنده تعالى.

وقوله:**(والقرآن الحكيم)**، هو القرآن المُحكم بما فيه من أحكام وبيِّنات حجته، وقوله تعالى: **(إنَّك لمن المرسلين)**، هو بيان ذكره، مُقسما بوَحْيه، وتنزيله لنبيه محمد –عليه السلام– بمعنى إنَّك يا محمد لمن المرسلين بوحي الله إلى عباده[4].

ولام التأكيد[لَمِنَ]، جاءت بمثابة إثبات وحجة قوية على دليل نُبُوته –عليه السلام–، وهنا ضعُف تعنُت القوم الظالمين، ودَحض أباطيلهم التي لا أساس لها من الصحة.

---

[1] ينظر: علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم، ص: 371.

[2] سورة يس، الآيات: 1 ،3.

[3] ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه وأثره في التفسير، ص: 160.

[4] ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص: 264/7.

ويكمن الهدف الأول في هذه السورة: هو بناء أسس العقيدة، فهي تتعرض لطبيعة الوحي و صدق الرسالة منذ افتتاحها[1].

بقوله تعالى:﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ ﴾.

وبدايات السورة هو تحدٍ لإعجاز القرآن بالحروف المقطعة، وبالقسم بالقرآن تنويهًا به، وأُدمج وصفه بالحكيم إشارة إلى بلُوغه أعلى درجات الإحكام، والمقصود من ذلك تحقيق رسالة محمد –عليه السَّلام–، وتفضيل الدّين الذي جاء به في كتاب منزل من الله لإبلاغ الأمة بالغاية السامية، وهي استقامة أمورها في الدّين و الفوز في الحياة الأبدية[2].

فالقسم بالقرآن كناية عن شرف قدره، وتعظيمه عند المولى عز وجل، بمعنى أن المقصود من هذا القسم تأكيد الخبر، فالقرآن هو الكتاب المُوحى به إلى سّيد الخلق محمد ابن عبد الله، أما الحكيم، فقد يُقصد به صاحب الحكمة أو المُتقن أو الرأي السَديد.

وجملة: **(إنّك لمن المرسلين)**، جواب القسم، وتأكيد هذا الخبر بالقسم وحرف التأكيد "لام" الابتداء لأنّ المراد به هو التَعريض بالمشركين الذين كذبوا بالرسالة[3].

والبعد الحجاجي هو التأكيد على (المُعظم)، القرآن وأنّه حقٌ بما فيه من تنبيه، للمكذبين له من أعداء الدِّينِ.

---

[1] ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، 2955/6.

[2] يُنظر:ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، 22/ 341، 342.

[3] ابن عاشور، المرجع نفسه، 22 /345،346.

ب- يقول تعالى:﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾[1].

الغرض من هذه الآية الكريمة، إظهار التحدي والإعجاز بهذا القرآن وتذكير المشركين بشقائهم إن لم يأتوا طوعًا لله[2].

سبب نزول هذه السورة هو ما اتصل من توبيخ المشركين على تكذيبهم للرسول الكريم، وتكبرهم عن قبول ما أرسل به وتَهديدهم بمثل ما حل بالأمم المكذِّبة قبلهم، لأنه جاء بتوحيد الله، ولأنه اختُص بالرسالة دُونهم[3].

والواو للقسم، أقسم بالقرآن وفيه تنويه به، وَوُصِفَ بـ(ذي الذكر)،لأنَّ (ذي) تُضاف إلى الأشياء الرفيعة فتجري على مُتَصَف مقصود التنويه به.

والذِّكر: التذكير، أي تذكير الناس بما هم عنه غافلون، ويجوز أن يُراد ب"الذِّكر" ذكر اللّسان، وهو على معنى: الذي يُذكر، والقرآن المذكور؛ أي الممدوح المستحق الثناء. وجواب القسم محذوف يدُل على السياق[4].

والبعد الحجاجي هنا تمثل في توبيخ المشركين بسبب تكذيبهم للرسول –عليه السَّلام–، وتهديدهم بعقابٍ وزجرٍ عظيمين من الله تعالى[5].

---

[1] سورة ص، الآية:1.

[2] ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه وأثره في التفسير، ص: 169.و ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 202/23.

[3] ينظر: ابن عاشور، المرجع نفسه، 202/23.

[4] ينظر: ابن عاشور، المرجع نفسه، 23 / 203،204.

[5] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 148.

جـ- يقول تعالىَ: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾[1].

اشتملت هذه السورة على جملة من الأغراض، أولها: التنويه بشأن القرآن. ثانيها: تكذيب المشركين للرَّسُول الكريم كونه من البشر. ثالثها: الوعيد للمشركين والنعيم للمؤمنين[2].

وابتدأت هذه السورة بقسم بالقرآن، والقسم به كناية عن التنويه بشأنه، لأنّ القسم لا يكون إلاّ بعظيم عند المقسِم، فكان التعظيم من لوازم القسم[3].

وتسمى هذه السورة بـ "الباسقات"، وهي سورة مدنية نزلت في اليهود[4].

والمقصود بالمجيد، هو ذي المجد والنسب، بمعنى وصف الذَّات الشريفة، ووُصِف القرآن به لكثرة ما يتضمَنُه من المكارم الدُنيوية والأخروية، ويجوز أن يكون وصفُه بذلك لأنَّه كلام المجيد، فهو وصف بصفة قائله بمعنى أن الله عز وجل لا ينطق عن الهوى[5].

---

[1] سورة ق، الآية:1.

[2] ينظر: ابن عاشور، تفسير والتنوير، 276/26.

[3] ينظر: ابن عاشور، المرجع نفسه، 276/26.

[4] ينظر: ابن عاشور، المرجع نفسه، 275/26.

[5] ينظر: الألوسي، روح المعاني، 171/26.

7/ قسم الله عز وجل بنَبيه الكريم:

أ- **يقول تعالى :** ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

نزلت هذه الآية في سورة الحجر، وهي سورة مكية نزلت في الفترة الحرجة مابين [عام الحزن] و[عام الهجرة][2].

فالله تبارك وتعالى أقسم بحياة نبيّه –صلى الله عليه وسلَّم– الطاهرة، التي فيها من الصحة و الاستقامة و الهدى مالاَ يوجد عند بشر، فهو الشّريف المتواضع، وبهذا يقصدُ تعالى أن المشركين شقُّوا لأنفسهم طريق الضَّلاَلَة والغَيّ، طريقًا مغضوبًا عليها، فالرّسول –صلى الله عليه وسلَّم–، مهما حاول معهم لم يسمعوه بل واستهزءوا به وسخروا منه.

وعليه فالقسم بعُمرِ النَّبي –عليه السّلام– فيه تشريف له، وذلك برفع منزِلَتِه وتعظيمها لكونه القدوة التي على دَربِها نسيرُ[3].

والغرض من القسم في هذه الآية الكريمة، هو التأكيد على استمرار المشركين، فيما كانوا عليه من الغفلة والتخبط، في تعاملهم مع محمد –عليه الصلاة والسلام–،وقد سبقوا قريش في التكذيب والإعراض عن الحق، وطلب أمر ليس لهم الحق في طلبه، فقريش طلبوا إتيان الملائكة في أول السورة، وقوم لوط طلبوا فعل الفاحشة بضيفه–عليه السلام–، مع ما قام به من التحذير والنصيحة لهم[...]، فالله تعالى كأنه يُوحي له بِأَن لا

---

[1] سورة الحجر، الآية: 72.

[2] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 66/14.

[3] ينظر، الألوسي، روح المعاني، 67/14.

يحزن، فقد حصل للأنبياء و الرُّسُل من قبلك مثل ما حصل من قومك من الجفاء في التعامل معك، والتعامل مع القرآن الكريم[1].

[1] ينظر: محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه وأثره في التفيير، ص:191. والألوسي، روح المعاني، 210/12.

خاتمـــــة

لقد وقف البحث على دراسة وتحليل الخطاب القرآني من خلال استنطاق ألفاظه ومعانيه بُغية الوصول إلى الأبعاد الحجاجية لأحرف القسم فيه، فخلُصَ إلى جملة من النتائج تمثلت فيما يأتي:

1- إنَّ الحجاج جاء ليؤكِد بعض المواقف، وذلك باعتماده أقوى أساليب التوكيد، ألا وهو القسم.

2- تنوُع معاني الحجاج، يُفضي إلى غايات متعدِّدة وهي: التأثير والإقناع لمن كان مقبلا على الحقيقة وإفحام المُتلقي إن كان معاندًا مدبرًا عنها.

3- إنَّ الهدف من وراء القسم بالله تعالى فيه تنزيهٌ للذَات الإلهية، وتقديس للمولى عزَّ وجل؛ لأنّ الخالق عظيم في ذاته وصفاته، كما جاء ليُقَرِّرَ حقائق عن الخلق والبعث، ورسالة الإسلام الخالدة ويفَنِّدَ آراء المُبطِلينَ ويُفَحِم المُنكِرَ منهم.

4- جاء أسلوب القسم ليُخاطِب العقول والعواطف، ويُثير الأفكار، فتخضَع له النُفُوس، كونه يهدف إلى التأكيد والإقناع.

5- نلحظ تنوعًا لحروف القسم في الخطاب القرآني، ما يؤدي إلى تنوُعٍ أغراضه فتأتي تارةً توكيدًا وتارةً بصيغة استفهام، وتارةً ثانية بصيغة تعجُب، هذا الأخير الذي تَرِدُ عليه "التاء" في أغلب مواضعها في القرآن الكريم، كقوله تعالى:﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة يوسف، الآية: 73]. فقد تعجبوا لَمَّا اتَهمُوهُم بالسرقة مع ما لمسُوهُ من نزاهة في أنفسهم.

6- تحمل حروف القسم في طياتها تأثيرًا بالغًا، في نفس السامع، كالتحسر والاعتذار كقوله تعالى:﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الشعراء، الآية: 97].

7- للقسم بمخلوقات الله تعالى في القرآن الكريم دليل على عِظم الله تبارك وتعالى، ممّا يجعل العبد في تفكر وتأمُل مُستَمِرَينِ.

8- جاء القسم شَادًا ذهن السامع إلى الخطاب قاصدًا إيقاظ القلوب، وتحريك النُفُوس، حتى لا تَمَل من الخطاب بِوتيرَة واحدة، لهذا جاءت أنماطه وحروُفُه مُتعدِّدة في الخطاب القرآني، فإن لم يؤثر هذا الحرف أو هذا الأسلوب القسمي في نفس مخاطب ما، فقد يؤثر حرف آخر أو أسلوب آخر بما يستدعيه المقام.

وفي الختام لا ندعي أنَّنا أحطنا بكل الموضوعِ، لكنَّنا حاولنا جاهدين أن نكشف عن بعض مضانه، والحمد لله من قبل ومن بعد.

قائمة

المصادر والمراجع

***القرآن الكريم: حفص عن عاصم بن أبي النجود.**

1/ الكتب:

1 -أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1405هـ-1985م.

2 -أحمد مطلوب، أساليب بلاغية الفصاحة-البلاغة-المعاني، دار القلم، الكويت، ط1، 1980م.

3 -أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1412هـ-1992م.

4 -أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426هـ-2006م.

5 -أبو جعفر محمد بن حرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرشاني ، دار هجر، ط 1، 1422هـ-2001م.

6 -جلال الدّين محمد بن عبد الرحمان بن عمر أحمد بن محمد القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

7 -جميل حمداوي، نظريات الحجاج، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)(د،ت).

8 -أبو الحسن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1981م.

9 -الزاوي بغورة، الفلسفة واللّغة نقد المُنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

10 - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيتُه وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،2011.

11 – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 1423هـ-2003م.

12 – شمس الدِّين ابن القيِّم الجوزية أبي عبد الله الدمشقي، التبيان في أقسام القرآن، المطبعة الميمرية، مكة المكرمة، ط1، 1321هـ.

13 – شهاب الدِّين أبو الفضل محمود الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د،ط)(د،ت).

14 – صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم، دار الفكر،عمان، المملكة الأردنية، ط1، (د،ت).

15 – طه عبد الرحمان:* اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1998م.* في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م.

16 – عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 1421هـ-2001م.

17 – عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1405هـ-1985م.

18 – عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني النحوي، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د،ط) 1375هـ.

19 – عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 2، 2007م.

20 – عبد الهادي بن ظافر الشهري –استراتيجيات الخطاب–، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

21 – ابن علي بن يعيش ، شرح المفصل، دار الطباعة المنيرية، القاهرة، مصر، (د،ط)(د،ت).

22 – أبو الفتح ضياء الدِّين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محي الدِّن عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د،ط)، 1385هـ-1939م.

23 – فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، (د،ط)(د،ت).

24 – أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط 5، 2002م.

25 – أبو الفضل جمال الدِّين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

26 – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف والمشهور ب "عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: محمود مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ-2009م.

27 – أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم الهاشم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1992م

28 – أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي، الجمل في النحو، تحقيق: علي توفيق المحمد، دار الأمل، إربد الأردن، ط1، 1404هـ-1984م.

29 – قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م.

30 – محمد أحمد القاسم ومحيِّ الدِّين دِيب، علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.

31 – محمد الرازي فخر الدِّين ، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1401 هـ-1981م.

32 – محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، (د،ب)، تونس، (د،ط)1981م.

33 – محمد المختار السلامي ، القسم في اللغة وفي القرآن ، دار الغرب الإسلامي ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، (د،ت).

34 – محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.

35 – مركز تفسير للدراسات القرآنية، المُختصر في التفسير، مؤسسة الشيخ عبد الله بن زيد الخيرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1435هـ-2014م.

36 – ناصر الدِّين أبي عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، (د،ت).

37 – نخبة من علماء التفسير، إشراف: محمد صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، التفسير المُيَسَّر، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1430هـ-2009م.

38 – أبو الوليد الباجي ، المنهج في ترتيب الحجاج، تحقيق:عبد المجيد التركي، دار المغرب الإسلامي، الدار البيضاء، المغرب، ط2،1987م.

39 – أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ-1987.

2/ الرسائل الجامعية:

40 -جمله داود عبد الجليل عياش، أسلوب الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث الشريف، شهادة لنيل درجة الماجستير، إشراف: عودة خليل أبو عودة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010م.

41 -حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، بحث لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، تخصص لسانيات الخطاب، إشراف: إسماعيل زردومي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010م.

42 -خالد سيف الدسيقي، القسم في القرآن الكريم، رسالة لنيل درجة الماجستير، إشراف: عبد المنعم القيعى، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع الكتاب والسنة، 1403هـ-1983م.

43 -علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم، مذكرة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد، إشراف: فتحي عبد القادر فريد، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، 1411هـ-1991م.

44 - ليلى جغام، الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص علوم اللسان، إشراف: محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها،2012م.

45 -محمد بن علي بن محمد القرني، التناسب بين المقسم به والمقسم عليه وأثره في التفسير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: صدِّيق أحمد مالك علي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، سنة 2012.

46 -محمد عرابي، العلاقات الحجاجية في القرآن الكريم، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: عبد الخالق رشيد، جامعة وهران، كلية الآداب، اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2014.

47 – نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: عمر بلخير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب واللّغات، قسم الأدب العربي، تخصص بلاغة الخطاب، 2012.

3/ المجلات:

48 – حامد ناصر الظالمي و عايد جدوع حنون، مفهوم الحجاج، مجلة أبحاث البصرة
(العلوم الإنسانية)، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 2013م، العدد: 3.

49 – حليمة أحمد عمايرة، أسلوب القسم في العربية، دراسة وصفية إحصائية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة اليرموك، المملكة الأردنية الهاشمية، الحولية الثالثة والستون، 1434هـ-2012م.

50 – الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1997م، العدد: 12.

51 – عباس حشاني، مصطلح الحجاج وبواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013م، العدد: 9.

فهرس

الموضوعات

مقدمة..... أ -ج

الفصل الأول: مداخل مفهومية..... 6 - 41

أولا: الحجاج..... 6- 23

1 الحجاج في اللغة والاصطلاح.....6-7

2 الحجاج في القرآن.....8

3 الحجاج مرادف للجدل.....8-9

4 علاقة الحجاج بالجدل والخطابة.....10

5 أنواع الحجاج.....11-12

6 العلاقات الحجاجية.....13-14

7 أشكال الحجاج.....14-16

8 مسار الحجاج في الفكر العربي والغربي.....17-23

ثانيا: القسم..... 24-41

1 المراد بالقسم في اللغة والاصطلاح.....24-25

2 صيغ القسم.....25-26

3 أغراض القسم..... 27-28

4 أنواع القسم في القرآن الكريم..... 29

5 -ما أقسم الله عليه القرآن..... 29-36

6 أدوات القسم.....37

7 أنواع القسم.....38-40

8 -أركان القسم..... 41

الفصل الثاني: الدلالة الحجاجية لأركان القسم في القران الكريم.....43-82

1 القسم باسم الجلالة مع "التاء" في تالله.....45-50

2 القسم باسم الجلالة مع "الواو" في والله.....51-52

3 قسم الله عزَّ وجل بمخلوقاته..... 53-70

4 قسم الله عز وجل بِذَاتِه.....71

5 قسم إبليس- لعنة الله عليه بعزَّة الله عزَّ وجل.....72-76

6 القسم بالقرآن الكريم..... 77-80

7 قسم الله بالنبيِّ الكريم.....81-82

خاتمة.....83

قائمة المصادر والمراجع.....86.

فهرس الموضوعات.....93

ملخص:

يُعدُّ الحجاج من بين أهم النظريات التي اهتمت بها اللّغة، كونُه يعتمدُ أساسًا على دراسة الطريقة والأسلوب اللّذين يرتكز عليهما المخاطِب و المخاطَب على السواء، محاولًا إقناع كل منهما الآخر بالرسالة المُراد إيصَالُها، مع استعمال الإشارات لتبيان المعنى المقصود في رسالته وجذب المتلقي للاهتمام بالخطاب.

وهذا الأسلوب لا يُستغنى عنه في أيِّ عملية تواصل، لأنَّ الغرض منه استهواء المتلقي واستمالته. إضافةً إلى أسلوب القسم، الذي يُعدُّ من المؤكدات المشهورة، التي عُرِفت منذُ القِدم في اللّغة العربية، وغيرها من اللّغات، فهو يهدف إلى توكيد الخطاب.

وقد نزل القرآن على سيِّد الخلق ليكون بشيرًا ونذيرًا للناس كافة، ووقف الناسُ فيه مواقف متباينة متفاوتة ، فمنهم الجاحد ومنهم المنكر، وعلى هذا نجده قد ورد كثيرًا في كتابه العزيز، بهدف إحباط الشكوك حوله، فنجِد الله تعالى قد نهى عن القسم بغيره، وأقسم هو بمخلوقاته لما فيها من آياتٍ وعِبَرٍ على إعجازه تعالى.

Résumé:

L’argumentation, considérée parmi les théories importantes, qui ont intéressé, la langue parce qu 'elle se base principalement sur l'étude du style et de la façon du destinateur qui vise et à convaincre L 'auditeur, de comprendre le message voulu en s 'appuyant sur des indices et des arguments pour attirer son attention.

L’objectif de cette technique utilisée dans la communication est de faire comprendre son discours.

En plus, il y a le serment qui est l'un des fameux procédés de l'affirmation connu depuis l'antiquité en arabe et en d'autres langues. Cette façon a pour but de confirmer le discours.

Le Coran a été révélé au prophète Mohamed "que le salut soit sur lui ", pour être un annonciateur et un avertisseur à tous les Hommes qui ont été dans des différents positions de croyance à l’égard du message divine. Parmi les Hommes on trouve ceux qui sont croyants et d’autres qui ne le sont pas (mécroyants)

Même dans le livre sacré (le coran) on trouve que l’argumentation, a été beaucoup employée, afin de déjouer touts les doutes.

Egalement, on trouve que le bon Dieu a interdit aux Hommes de ne pas jurer que par sa créature pour montrer sa puissance.